

جمهورية مصر العربية
وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات

# جارودي



الرئيس محمد حسنى مبارك

أن تنهض الهيئة العامة للاستعلامات بمهمتها الاصيلة فى نشر الرسالة الاعلامية المصرية ، على مختلف مستوياتها السياسية والاقتصادية والثقافية ، فى الداخل وفى الخارج ، ومن خلال اوسع قنوات الاتصال ، فذلك واجب والتزام ... وسبب الوجود ... وشرف المسئوليه ... وهو امر طبيعى تماما ..

وان تنقل الهيئة الى دائرة صنع القرار المصرى ، والى العقل المصرى عامة ، امهات الفكر الانسانى العالمى ( الكتب المترجمه ) الى جانب مختلف توجهات الرأى العام المحلى والدولى ، فذلك بدوره أمر ضرورى يندرج مباشرة فى اطار مهمة ومسئوليات هذا الجهاز الاعلامى العريق بتاريخه ، الوطنى بتوجهاته ومسئولياته ، القادر بانجازاته ، والمنوط به اثراء القرار الوطنى بالمعلومات والفكر واتجاهات الرأى العام ...

ولكن هل من مزيد ؟ ! ..

لقد فكرنا هنا ، فى الهيئة العامة للاستعلامات ، أن نطرق سبيلا جديدا اضافيا .. ان ندعو الى مصر بعض الشخصيات البارزة فى الفكر والسياسة والاقتصاد والاعلام .. ان ندعوهم الى مصر ليس فحسب من أجل ان يطلعوا على إيقاع الحياة على أرضنا .. على حركة الانسان وانجازه فى

مواقع العمل فى بلادنا .. على فكر وتوجهات كبار المسئولين عن ادارة سياساتنا الداخلية والخارجية ، بحيث نسهم ، من خلالهم ، فى اعلام الرأى العام الدولى عن أحوال وطننا ، بل فكرنا فى ان ندعوهم ايضا من اجل ان نطلع نحن على فكرهم .. ان نتعرف منهم على القضايا التى تثير البحث ، وربما القلق البناء ، لديهم .. ان نتناقش معهم .. ان نستشف من خلالهم «اتجاه الريح» فى العالم الذى يحيط بنا .. اتجاه الريح الثقافى والسياسى والفكرى .. ان نثرى بذلك أيضا قاده الرأى فى مجتمعنا .. والدائرة الواسعة للفكر المصرى والقرار المصرى المتفتح ابدا على كل روافد الفكر والثقافة العالمية ..

وهكذا جاءت دعوتنا للمفكر الفرنسى روجيه «اورجاء» جارودى للحضور الى مصر فى ربيع عام ١٩٨٣ فى مناسبة العيد الالفى للازهر الشريف ، منارة الاسلام والعلم ، من اجل ان نعقد معه حلقه حوار .. حوار بين المفكر والفيلسوف وبين رجال العلم والفقه وأساتذه الجامعة واقطاب الاعلام .. وكانت ندوة الاسكندرية .. وفى رحاب جامعتها العريقة ، حاضر جارودى وناقش وأعطى وأخذ وتفاعل واستمع .. كان الموضوع الاصلى للندوة هو كتابه الرائد عن «حوار الحضارات» .. وجاءت المناقشة التالية متدفقة تحاول ان تغطى كل شىء ... الدين والفكر والفلسفة والتاريخ وتطور الحضارات .. وما كانت لتنتهى من كثرة ذلك الشغف والنهم الثقافى العظيم لدى كل الحاضرين .. وكتبت الصحافة المصرية عن ندوة الاسكندرية .. كتبت كثيرا .. وغمرتنا بمشاعر التقدير الكريم على هذه المبادره .. ثم اعقبت تلك الندوة ندوات أخرى عديدة .. دعونا اليها أعلاما فى السياسة وعلوم

الاتصال .. و .. و .. وربما لم تلق تلك الندوات نفس الحظ من الاهتمام الاعلامى المصرى مثلما لقيت ندوة جارودى ولكنها ، على مانعتقد ، قد اسهمت ايضا فى اثراء المعرفة لدى قطاع واسع من قادة الفكر والرأى والاعلام فى بلادنا ..

ثم ..... صدر الكتاب الاخير عن «رجاء جارودى وحضارة الاسلام» من الاستاذه الجليلة أمنية الصاوى .. ودكتور عبد العزيز شرف وفى اهدائها الرقيق كتبت الينا الاستاذه الجليلة تقول : «الى صاحب الفضل الاول فى تعرفنا على جارودى وفكره .....» .

وهنا تضاعفت سعادتنا بالعمل الذى تم فى ربيع من عام مضى ، ورأينا أن الواجب يقتضينا ، عرفانا لذلك التقدير ، ان ننشر نص محاضرتى جارودى فى الاسكندرية وفى جامعة الازهر الشريف ... مجرد عمل توثيقى ورصد لما كان .. قد يساعد فى المزيد من التعرف على فكر الفيلسوف .. ويبدو ذلك النشر متأخرا بعض الشيء .. ونحن نبادر بالاعتراف بتلك الحقيقة .. فما كان يجب علينا ان نقتصر على اجراء الندوة .. وكان من الضرورى فعلا ان نتبعها بالنشر .. فما هو عذرنا ؟ لاشيء ... أو ربما الدوامه العظيمة للعمل .. كل يوم ... ومع ذلك ، وكما يقول الفرنسيون الذين خرج منهم ذلك الفيلسوف الذى نقدمه اليوم للقراء : «ان تنجز عملا ولو متأخرا أفضل من أن لاتنجزه على الاطلاق ...»

الدكتور ممدوح البلتاجى

رئيس الهيئة العامة للاستعلامات



## كلمة الدكتور ممدوح البلتاجى رئيس الهيئة العامة للاستعلامات فى بداية محاضرة جارودى بجامعة الاسكندرية عن «حوار الحضارات»

السيد المحافظ .. السيد رئيس جامعة الاسكندرية .. السادة أساتذة الجامعة .. ورجال الدين والفكر والكتاب والصحفين والزملاء ...

أسباب عديدة فى الواقع تدعونى للشعور ببالغ السعادة ونحن نلتقى بحضراتكم هنا فى الاسكندرية .. فى رحاب جامعتها العريقة ، لنقدم لكم ضيف الازهر الشريف مسيو روجيه جارودى .. ضيف جامعة الاسكندرية .. والهيئة العامة للاستعلامات ، وربما ضيف كل مفكر ومثقف فى مصر .. ترحب به انسانا وصاحب رحلة طويلة فريدة فى البحث والفكر والقلق والتأمل انتهت به الى رحاب الاسلام وشواطئه الروحية والفكرية الآمنة .

سعادتى الغامرة إذن فى أن أرحب معكم بالمفكر والضمير هنا فى الاسكندرية .. عاصمة مصر الثانية .. أرض حوار الحضارات .

روجيه «أو رجاء» جارودى واحد من ألمع المفكرين الفرنسيين ولد بمرسيليا عام ١٩١٣ امتزجت فيه روحانية العقل وعقلانية الروح لِيَعْبُرَ بهما بعد رحلة طويلة قطعها فى سبيل البحث عن الحقيقة مارا بالراد يكالية الى التزام ماركسى كامل بالنظرية والحزب ، ثم ثورة ضد الماركسية فى النظرية والممارسة ، لينفصل عن الحزب الى أن سكن فكره الحائر ليستقر أخيرا فى هدوء وسلام تحت مظلة الاسلام .

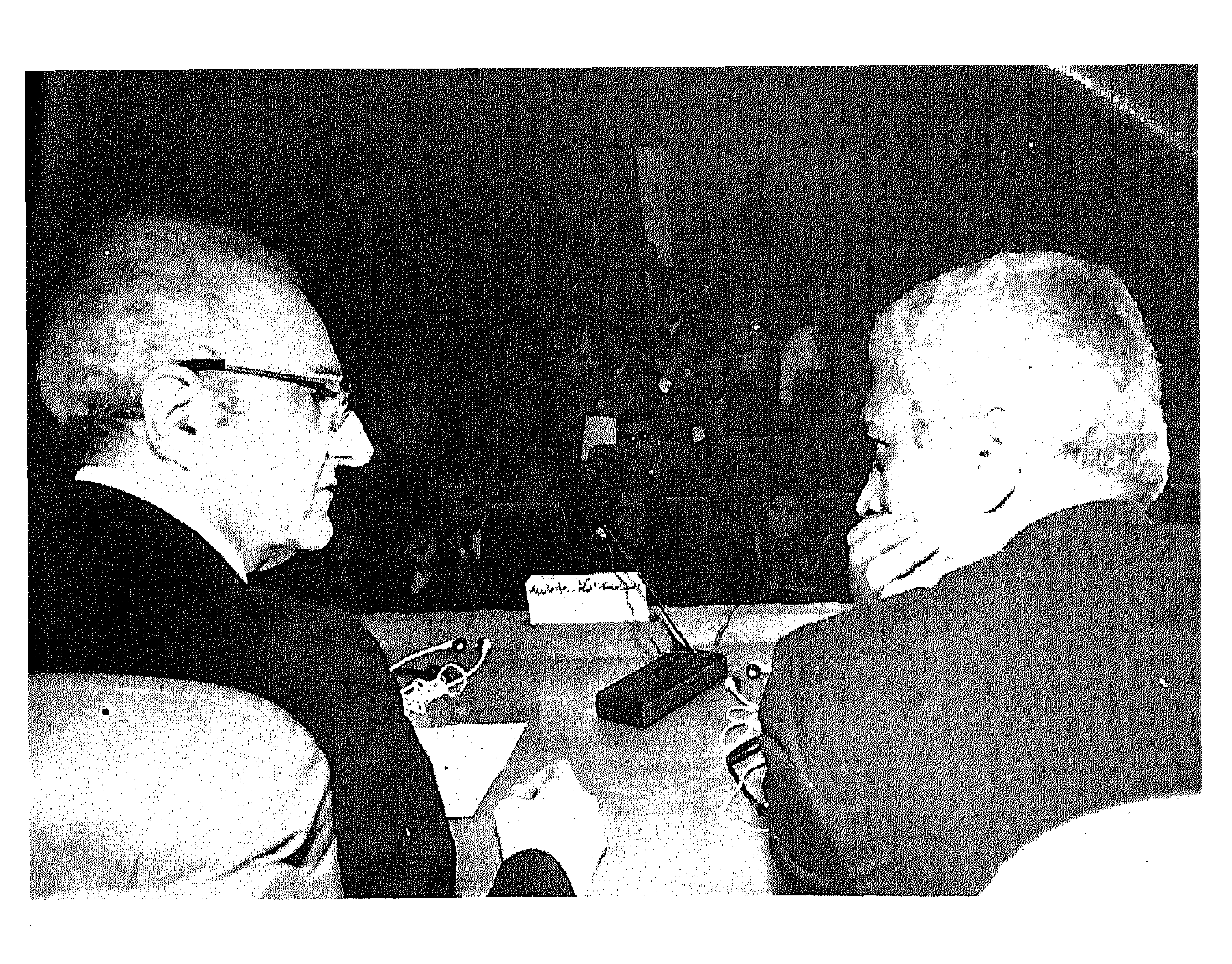
لجارودى العديد من المؤلفات كتبها خلال رحلته الفكرية على مدى أربعين عاما بدءا من كتابه (واقعية بلا ضفاف) وحتى آخر مؤلفاته (مشروع الامل) ومن أهم مؤلفاته «حوار الحضارات» (الذى سيحدثنا عن أسسه الفكرية وخلفيته) «ووعود الاسلام» عن المساهمة التاريخية للحضارة العربية الاسلامية فى الثقافة العالمية .

جارودى مفكر وفيلسوف وروائى وناقد حصل على درجتين للدكتوراه الاولى من جامعة باريس سنة ١٩٥٣ حول (النظرية المادية فى المعرفة) والثانية من جامعة موسكو سنة ١٩٥٤ حول (الحرية) ، وكان نائبا عن دائرة السين ونائبا لرئيس الجمعية الوطنية الفرنسية مابين عامي ١٩٥٦ و ١٩٥٨ وعضوا بمجلس الشيوخ مابين عامي ١٩٥٩ و ١٩٦٢ وأسس فى باريس مركز الدراسات والابحاث الفكرية والايديولوجية عام ١٩٦٠ .

جارودى لم تبدأ رحلته فى الاسلام بلمحة بارقة انما بعد قراءة متعمقة ودراسة متأنية فى مختلف مراحل الفكر والنظريات منذ أوائل الاربعينات ويؤكد ما سبق بقوله «لقد كان شغلى الشاغل طيلة حياتى ينصب فى البحث عن النقطة التى يلتقى فيها الابداع الفنى والشعرى بالعمل السياسى والايمان وقد مكننى الاسلام بحمد الله من بلوغ نقطة التوحيد بينهما» .

جارودى ضيف مصر بمناسبة العيد الالفى للازهر الشريف بيننا اليوم فى الاسكندرية ليحاضر حول فكره وفلسفته ، ليحاضر حول «حوار الحضارات» !!

في المحاضرة التي ألقاها المفكر جارودى فى الاسكندريه



## بسم الله الرحمن الرحيم

## محاضرة الاستاذ . رجاء جارودى التى القاها فى الاسكندرية بدعوة من هيئة الاستعلامات يوم الاحد ٢٠ / مارس ١٩٨٣

## (ترجمة فورية من الهيئة العامة للاستعلامات)

من دواعى سرورى البالغ ، بل إنه لشرف عظيم أن أتحدث اليكم فى مدينة الاسكندرية عن (حوار الحضارات) هذه المدينة التى طالما أجرت هذا الحوار بالهام من تاريخها العريق .



مع الدكتور ممدوح البلتاجى رئيس الهيئه العامه للاستعلامات

ولعلها كانت اساسا هذه فكرة الاسكندر ـــ الذى تحمل هذه المدينة اسمه ـــ ان يحقق الترابط بين حكمة قارات العالم القديم . حكمة آسيا وحكمة افريقيا وحكمة العالم الاغريقى . ومن المؤكد أن هذا الالهام لم ينكره أحد طوال تاريخ هذه المدينة .

ولكن هذا ليس مجال حديثنا لانه مجال واسع وعريض . لقد شاهدنا ـــ هنا فى هذه المنطقة ـــ صفوة حضارات الشرقين الاقصى والادنى مع الحضارات العظيمة فى الهند وايران ، مرورا بحضارة الاغريق وحضارة افريقيا ، مع التراث العريض للحضارة الفرعونية التى ازدهرت فى مصر . لقد عرفت هذه المنطقة على سبيل المثال أعظم أقطاب الفكر والتصوف من أمثال فليون اليهودى وبلوتان ممن سموا بآباء الاغريق أو آباء الصحراء فى مصر . وفى الاسكندرية ازدهرت على أيديهم ألوان جديدة من العقيدة والفكر

المسيحي . ثم تلى ذلك التداخل بين الشعوب بفضل المد الاسلامى الذى يعد تحولا تاريخيا تحقق ليس بالنصر العسكرى وحده بل بما يجوز لنا أن نطلق علية اليوم «الثورة الثقافية» . فالعقيدة الاسلامية واللغة العربية خلقتا نوعا متميزا من المجتمعات العالمية التى ساعدت على عودة ازدهار حضارات كان نجمها قد أخذ يأفل كحضارات فارس وبيزنطة . وكانت الاسكندرية شاهدا على كل هذا الازدهار . وقد تركت هذة الثقافات التي توالت عبر أحقاب شتى من التاريخ بصماتها علي الاسكندرية وأثرت فيها أبلغ تأثير .
وسنحاول فى هذا اللقاء أن نعيد اقامة هذا الحوار ـــ ولو على مستوى أقل بكثير ـــ ليس من منطلق التاريخ او التاريخ الثقافى او البحث الاركيولوجى ، ولكن أقولها طواعية من منطلق الحرص على البقاء .

وفى اعتقادى أن موضوع (حوار الحضارات) وهو الموضوع الذى اقترحه الدكتور البلتاجي لهذه المحاضرة يثير هذا التساؤل ولماذا حوار الحضارات هذا ؟ ذلك اننى اعتقد ان المسألة مسألةبقاء .

لماذا حوار الحضارات ؟ بادىء ذى بدء لان الحديث من طرف واحد Monologue قد ثبت فشله ، وهو الاسلوب الذى تمارسه الزعامة الغربية منذ خمسة قرون دون منازع ، منولوج الثقافة الغربية لطراز التنمية الغربية الذى ساد على العالم أجمع منذ خمسة قرون .
فإلى أ ين تراه قد أدى بنا ؟ . من الواضح الجلى أنه قد تجلت كفاءة المجتمعات الغربية فى النواحى العلمية والاقتصادية والتنمية ، ومؤداها ببساطة أن يجرى نمو واضطراد كل شىء كما لو كانت أهداف التنمية على النمط الغربى ترتكز على مجرد استهداف كثرة الانتاج لمجرد انتاج أى شىء وبأسرع مايمكن ، سواء كان نافعا أو ضارا ، وحتى لو بلغ هذا الضرر حد الخطر القاتل . ولعل الطامة الكبرى أن هذه المنتجات الجالبة لدمار البشرية جمعاء هى التى تكفل وبأيسر السبل تدعيم الاقتصاد وهى التى تنفرد بتلك الميزة الاقتصادية التى تجعل منها منتجات عتيقة بالية وإن ظلت مخزونه دون استخدام ، ويتعين بالضرورة انتاج المتطور الجديد منها كلما أمكن بحجة احراز السبق فى مجالات التسلح والابحاث الخاصة بالتسليح الاكثر تقدما والاكثر تكلفة . حتى أن تلك الميزة الاقتصادية لاقتصاد التسليح قد أدى بالعالم الغربى الذى ينتج هذا النوع من الاسلحة أن ينفق خلال عام ١٩٨٢ وحده ٦٥٠ مليار دولار على

انتاج السلاح ، وهذا رقم ضخم جدا حتى ليصعب تقدير مدى خطورته ، ولكى ندرك مدى خطوره هذا الرقم نترجمه الى فكرة مؤداها أن معدل ما يصوب نحو كل انسان علي وجه الكرة الارضية من وسائل الدمار هو أربعة اطنان من المتفجرات ، أى أن الحديث من طرف واحد ـــ هذا المنولوج الاقتصادى والعسكرى ـــ الذى انفراد به الغرب كان هو السبب الذى أدى الى ذلك التقدم الهائل فى تاريخ البشرية ، واسمحوا لى أن أضع لفظة «تقدم» هذه بين قوسين لانها تعنى أنه للمرة الاولى منذ ثلاثة ملايين سنةوهى الحقبة التى عاشتها البشرية ـــ تتأكد تقنيا امكانية محو وابادة كل أثر للحياة على هذا الكوكب وتصويب أربعة أطنان من المتفجرات الى رأس كل منا ، ويكفى أى مهمل أو مخبول أو سيء نيه أن يلقى بشرارة لتضطرم النار وتأتى على هذا الكوكب بأكمله . وفى نفس هذا العام الذى أنفق فيه العالم الغربى ٦٥٠ مليار دولار على التسليح كان نحو خمسمائة مليون من البشر فى العالم الثالث يموتون جوعا أو من سوء التغذية . والمسئولية فى ذلك تقع على كاهل من يمارس تلك السياسة منذ خمسة قرون ، ان على الدول الغربية الكبرى ـــ الولايات المتحدة الامريكية وأوربا ـــ وهذا يعنى أننا مارسنا أشد أنواع الحكم فتكا بالبشرية ، وإنه لاعلانٌ لفشل هذا المنولوج ـــ أى أسلوب الحوار من جانب واحد ـــ الذى احتكرته الحضارة الغربية وادعت لنفسها فيه دور المعلم لسائر الدنيا . وهذا هو السبب الاول الذى يجيز لنا القول بأن هذا الحوار الفردى مآله الفشل فى عالمنا .

ولعلكم ترون معى أننا بَعُدنا كثيرا عن مجرد التأريخ للثقافة والتراث والبحث عن آثار وذكريات الحضارات الغابرة وعن الدراسات المقارنة ، وأنا لا أنكر أهمية ذلك كله ،غير أنى أدع هذه الدراسات للمتخصصين ، فهدفنا هنا هو وقف السباق نحو الفناء والعدم . وهو مايدعونا إلى الدعوة إلى الحوار .

أما السبب الثانى فيرجع الى مدى تغلغل المشكلات الثقافية فى هذا السباق الرهيب نحو الهاوية .

واذا بحثنا عن جذور هذا الاسلوب المتبع فى التنمية فى مضمار الثقافة الغربية ، نجد أنفسنا مضطرين الى الاقرار بوجود نوع من التوازى الغريب بين الاثنين ، بحيث يصعب نظريا تحديد أيهما كان الدافع لظهور الاخر ، ولا يسعنا الا أن نقر بوجود توازى وتداخل وتبادل بين كل من المجالين مجال

التنمية ومجال الثقافة . فما الذى يميز أسلوب الثقافة الغربية ؟ انه نوع معين من العلاقات بين

١ ــــ الانسان والطبيعة .
٢ ــــ الانسان وأخيه الانسان .
٣ ــــ الانسان والله .

هذه العلاقات محددة فى اطار منظور ثقافى أسميه بالثقافة الفاوستية ، وكلمة فاوستية قد تترجم باللغة العربية الى كلمة الفرعونية ، وهى ثقافة تزعم أنها تنبنى أساسا على ادعاء الانسان القدرة على الاكتفاء ذاتيا ، وعلى زعم اغتصاب عظمة الله وقدرته . وعندما اسمى هذه الثقافة بالفاوستية لأشير فقط الى فاوست الذى قدمه جوتة . بل الى فاوست الذى تمثل فى ثقافة عصر النهضة ــــ فاوست الذى تجلى فى ثقافة كريستوفر مالرو ــــ وشعاره كما يجوز لى أن أقول ان الانسان بما يمتاز به من عقل جبار يصير الها ، والسيد المهيمن على جميع العناصر ، هذا هو التعريف الملائم فى نظرى لما أسميته بالثقافة الفاوستية ولما يعنيه القرآن الكريم بالفرعونية . وأعود فأكرر أنه كِبْرُ الانسان وادعاؤه القدرة لنفسه ازاء جبروت الله وعظمته .

وهذه الثقافة الفاوستية تتضح فى :-

١ ــــ **علاقة الانسان بالطبيعة** : ونحن نجد ديكارت بعد جاليليو ومالرو - كما ذكرنا للتو ــــ يصح بمعرفة مصحح فرنسى المنهج يلوح هو الآخرى بشعاره القديم والشرير فى كتابه « حديث عن Discours de la Méthole وفيه يزعم وضع نظرية تجعل منا الهة وسادة على الطبيعة . حقيقة أن هذه النظرية قد حققت لنا قدرة هائلة للسيطرة على الطبيعة ولكنها بعد خمسة قرون من التجربة ــــ تجربة نظريات فاوست وديكارت ــــ قد أدت بنا الى نتيجة مؤداها :- أنه من فرط اعتبار الطبيعة مستودعا للمواد الأولية ومستقرا لبقايا الانسان وفضلاته ــــ أصبحنا من نفس هذا المنطلق فى حالة تدمير مستمر لها وهو عكس نظرة القرآن الكريم للانسان باعتباره خليفة الله فى الارض المسئول عن ايجاد هذا التوازن الطبيعى ، وقد أصدر أحد المفكرين الايرانيين ويدعى «السيد/نصر» كتابا رائعا ، يوضح فيه

علاقة الانسان بالطبيعة من وجهة النظر الاسلامية ، وهذا الكتاب يعتبر فى نظرى اروع كتاب ظهر حتى الآن لتوضيح مظاهر التوازن الطبيعية كما يقررها الله وما يقع على عاتق الانسان من مسئوليه فى ذلك .

٢ ــــ علاقة الانسان بغيره من الناس : وفيما يتعلق بعلاقة الانسان باخيه الانسان ــــ وهى السمه المميزة لهذه الحضارة الفاوستية التى ضلت طريقها منذ البداية ــــ نجد أن أحد كبار المحللين الانجليز ويدعى هوبز يقول (لقد أنشأنا مجتمعا ــــ ويعنى الرأسمالية عند نشأتها ــــ يتربص فيه الانسان تربص الذئب باخيه الانسان) .

والواقع اننا منذ اللحظة التى اقتطعنا من الانسان أو بترنا منه «البعد الالهى» أو سلبناه هذا البعد ، لم يبق له الا الاغراض الملحة الشائنة ... لم يبق سوى الانسان الذى اطلق عليه الصوفيون فى أثينا فى عهد الحكيم بويكليز تعريفا مميزا ، بل وأفلاطون فى كتابه «الجمهورية» يقول «ان الخير ــــ فى نظر الصوفيين» هو وجود اقوى الرغبات الممكنة لدى الانسان والعثور على وسيلة لاشباعها .

وعلى هذه المبادىء اللاأخلاقيه ــــ أو على انكار كل مبدأ اخلاقى ــــ تقوم أسس مجتمع التنمية الغربى : الذى يعتبر نتيجة لحلول مجالات المنافسة الاقتصادية محل مجالات الخصومات السياسية فى ظل هذا التصور «الذرى» للانسان ، وأنا اذ أستخدم جزافا كلمة «الذرى» انما اعنى ماتقول به اللغة اليونانية القديمة من ان الذرة هى الفرد ، هى ذلك الجزىء الذى لايمكن تفتيته : هى ذلك الجزىء الذى يفصله فراغ عما دونه ... فما ابشعها من صورة للانسان ، صورة الفرد ، وهى التى وردت للاسف حتى فى اعلان حقوق الانسان والمواطن فى فرنسا الثورية ، وفيه جاء «أن حريتى تتوقف حيثما تبدأ حرية الاخوين» .

وفى هذا خلط رهيب بين الحرية والملكية، ولنضرب مثلا على ذلك: فلو اننى أملك حقيقة مزرعة فان مزرعتى ــــ أجل حدود مزرعتى وملكيتى ــــ تتوقف حيثما تبدأ ملكية جارى . لكن هذا تصور شنيع للحرية ، الذى يعتبر حرية الآخرين حدا فاصلا لحريتى الذاتية وليس شرطا لها ، فلا حرية لانسان وسط شعب مستعبد .

وكان من نتيجة هذا التعريف الخاطىء أن المجتمعات الغربية ظلت تتارجح منذ عهد النهضة مابين الفردية القائمة على المركزية والاستبدادية الاوتوقراطيه المطلقه وهما وجهان لعملة واحدة ، لأن الاستبدادية المطلقة ليست سوى فردية يستوعب فيها شخص واحد كل الباقين . وهذا هو ماحدى بكاتب ألمانى شهير فى عهد هتلر أن يقول « نحن الالمان جميعا أصفار ، والفوهرر هتلر هو الرقم الذى يلى هذه الاصفار فيجعل معنى للجميع » وهذا مآل الفردية القائمة على فكرة أن حرية غيرى هى الحد الفاصل لحريتى الذاتية ، وأن القوى يبتلع الضعيف .. وهذا هو القانون السائد فى النظام الرأسمالى بصفة خاصة . والذى يؤدى فى المجال السياسى الى تلك الاستبدادية الاوتوقراطيه المطلقة التى لا تخرج عن أن تكون ــ كما سبق القول ــ سوى النهاية الحتمية للفردية .

## ٣ ــ العلاقة الاخيرة وهى علاقه الانسان بالله

منذ خمسة قرون ونحن نشهد ضمور الاحساس لدى الغرب بالبعد الالهى وقدرة الله تعالى ، فاذا به يخضع الكفاية والقدرة الفاوستية او الفرعونية او الديكارتية والجليلة ، فى مجال المقارنة بفكرة « الخضوع لله » وان كانت حكمة الخضوع لله لاتعنى تماما كلمة الاسلام له ــ ولست بقادر على ان اخوض امامكم فى لغتكم ــ وقد قال احد الكتاب ان ترجمة كلمة « الاسلام » الى اللغات الاجنبية بانه « الخضوع » الذى قد يوحى ببساطة بانه سلبية مطلقة من الانسان تجاه الله هى ترجمة غير أمينة وانه من الاجدر ان تكون ترجمة كلمة الاسلام انها استجابة الانسان لنداء الله ، وأنا وان كنت لست حكما فى تقييم التفسيرات الفقهيه المطروحة الا اننى أستطيع ان أقول ان هذا التفسير هام جدا لتوضيح ان العقيدة هى فعل يؤدى ومسئولية من جانب الانسان .

ولقد كتب المتصوف الفارسى الكبير « ابن الرومى » أجمل أشعاره فى القرن الثانى عشر ، فيها صاغ بعض المعانى القرآنيه فى قالب شعرى اذ يقول :

.كل كائن فى العالم مسلم

الجماد فى سكونه خاضع لارادة ومشيئة الله
النبات فى نموه خاضع لارادة ومشيئة الله
الحيوان فى غرائزه خاضع لارادة ومشيئة الله
اما الانسان فقد أمتاز بالخاصية التالية وهو وان كان هو الآخر خاضع مسلم الا ان ذلك يتم باختياره ـــ وليس له من ميزة سوى حقه فى عدم الطاعة وبالتالى يكون مسئولا عن إيمانه او كفره وهنا تتجلى الرؤية العظيمة للانسان ولمسئوليته الذاتية .

هذ على ان السمة البارزة التى تميز اليوم اسلوب هذه الثقافة الفاوستية هى انها تفرد الاولوية المطلقة للفعل فى حد ذاته ، الفعل لمجرد الفعل : ولكنه فعل لايضيؤه التأمل : وأى فعل لايجليه التأمل فعل أعمى ، تماما مثل التأمل الذى لا ينتمى الى فعل ، لايلبث أن يتبخر فى صورة تقوى ذاتية خالصة .

ولقد سبق لى ان اشرت فى حديثى أن أحد الاسباب التى بهرتنى فى الاسلام هو بالتحديد هذا التوازن بين كلا الاثنين الفعل والتأمل .

ولئن حاولت التأريخ عن أى الرجال يستأثر باعجابى وتتجلى فيه صفة الرجال لقلت : هو الامير عبد القادر ... ذلك الرجل الذى ظل يقاوم اثنى عشر عاما قوات عسكرية ساحقة التفوق دفاعا عن استقلال الجزائر ضد الغزو الفرنسى .

وما يدعو للاعجاب بشخصية الامير عبد القادر ليس فقط ما ذكرته كتب التاريخ من كونه ضابطا كبيرا وقائدا حربيا عظيما ناضل دون هواده لمده ١٢ عاما بأسلحة متخلفة للغاية ، ولا لكونه رجل دولة استطاع أن يؤسس جميع أجهزة المجتمع الحديث فى الجزائر فى عصرنا هذا ، بل لانه صوفى عظيم وربما أعظم أقطاب الصوفية فى القرن التاسع عشر . ولقد نشر أحد المستعربين البولنديين الذين اعتنقوا الاسلام « وهم نادرون » بعض المقتطفات أو الاصح بعض المقالات الصوفية للامير عبد القادر . فكانت بالفعل بمثابة كشف جديد للجماهير الفرنسية عن هذا الرجل الذى قدمته الكتابات السابقة على أنه العدو ، أو على أحسن تقدير على أنه يجسد المقاومة .

ولم يكتشف فيه الشعب الفرنسى من قبل أنه هذا المتصوف الكبير . وربما أدرك ذلك من قبل بعض الضباط الفرنسيين حتى كانوا أسرى عنده وكان يدعوهم كثيرا بدافع الكرم الى مائدته فى خيمته اذ دهشوا عند رؤية هذا القائد الحربى ساهرا يصلى طيلة الليل عشية المعركة بينما لم يدر بخلدهم قط انه يمكن للقائد بوجارد Bugard ( قمة الفساد والشراسة ) أن ينهج مثل هذا النهج .

ومن ثم أعود فأقول : إن الامير الجزائرى يجسد لنا نموذج الرجل الكامل حيث الفعل يضيؤهالتأمل : وهو التأمل الغنى .. التأمل الذى يصل الى مرتبة الكمال .

وعلى العكس من ذلك يجوز لنا ان نخلص الخاصية الثانية لتلك الثقافة الفاوستية بأنها ما يمكن تسميته بأولوية الادراك ، أولوية التجريد ، فكل مالا يمكن إرجاعه الى مدركات ملموسه وبالدات الى مدركات قياسية حسابية فلا وجود له .

وفى هذا الصدد أستميحكم العذر فى تقديم أحد الامثلة المستقاة من مجال عملى كأستاذ للفلسفة فى الجامعة لمدة طويله ويمكنكم أن تقرأوا وكل مؤلفات ديكارت بحثا عن دراسة للعاطفة فى كتابه «حديث المشاعر» Traite des Passions ولكنكم لن تعثروا فيها على أثر لتصوير الحب بالمفهوم الانسانى والالهى للكلمة ... وحتى عن العقيدة فهى فى نظره مجرد ملكة فكرية وملكة فلسفية بواسطتها حاول أن يبنى على عقيدته الميثولوجيه الرثه تصورا لحقيقة الله .

وليست هذه النظرية وليدة الصدفه ، ولا هى نتاج نقص فى فكر ديكارت الذى كان ضابطا فى سلاح الفرسان وفى رأيي أن الاشارة الى مهنة ديكارت مهمة جدا .. كما قال واحد من أبرز فلاسفة فرنسا وهو زميل لى يدعى ميشيل سير ـــ قال ان كتاب «حديث عن الطريق» الذى وضعه ديكارت ليس الا معاهدة حربية ـــ حرب على الطبيعه وحرب على الآخرين . انها معاهدة العاجز ، وهى بحق نتاج ضابط فى سلاح الفرسان كان دائما فى الجانب الخاسر ، فقد كان من المرتزقة الذين حاربوا فى سترا سبورج شعب بوهيميا فى معركة الجبل الابيض .. ولكن لنتجاوز عن كراهيتى الشديدة لرجال الفرسان وبالذات لرينيه ديكارت .

الخاصية الثالثة لهذه الثقافة الفاوستية بعد تخصيص الاولوية المطلقة للفعل وأولوية الادارك ــــ هذه الخاصية الثالثة تجرد الانسان من أجمل أبعاده ، ألا وهي الجمال والحب والإيمان ، هي ما أستمحيكم ثانية في التعبير عنها بأحد التعبيرات الفلسفية التى تبين تأثرى الشديد بدراساتى ، وهذا التعبير أعنى به الاولوية اللانهائيه الزائفة لتحديد اللانهائية الحسابية فاذا استمررنا فى جمع الاعداد ١ + ١ + ١ فهذا ما أعنيه باللانهائية الزائفة ، أما اللانهائية الكيفية فهى الحقيقة وأعنى بها الالهية .

وواضح جلي أن نموذج التنمية فى المجتمع الغربى يستقى الاولوية لهذه اللانهائية الزائفة وأعنى بها ــــ كما سبق ان بينت الآن ــــ الحرص على الاسراع فى كل شيء ــــ وعلى النمو والاطراد فى الانتاج ، وهو ما يعنى التفكير الدائم فى الكم وحده . وما تعبر عنه الاحصائيات فى نظام كل دولة بكلمة الدخل القومي . وبه يقاس مدى أى من البلدان بمدى تشابه مع الولايات المتحدة الامريكية أو الدوله الاوروبية او اليابان . هذا هو المقياس ، مقياس الدخل القومى العام أو بمعنى آخر مجموع ما تم انتاجه سواء كان نافعا أو ضارا أو مصدر هلاك لاى بلد كما سبق أن ذكرت .

وقد كتب صديقى جولدبل ــــ وهو اقتصادى أمريكى ــــ يصف هذا النوع من التنمية بعبارة اعجبتنى كثيرا إذ يقول فى احد مؤلفاته .

«الامور تجرى فى بلدنا كما لو كان مسلما به أن القديس بولس سوف يوقف الرجال والنساء على السواء فى السماء قبل أن يدخلهم الجنه أو النار ليسألهم سؤالا واحدا لا ثانى له : ماذا فعلت فى الارض لتضاعف الدخل القومى العام» وأحسبه يقدم لنا بهذه العبارة وصفا لانسان اليوم بل ولكل حضارة اليوم .

وبعد كل ما سبق ينبغى لنا القول ان هذا الحديث من جانب واحد هذا المونولوج الذى ثبت فشله .. لابد أن نضع له نهاية .

وأنا اذ أتحدث عن اقامة حوار الحضارات انما أوكد على حتمية اجرائه . والحوار لايكون ضرورة حتمية الا حين أجلس الى نفس المائدة مع

محدثي وكلى اقتناع بان هناك ماينبغى على الافاده منه ، أما اذا ترسخت فى نفسى أننى أملك حقيقة مؤكده مطلقه فلا داعى للبدء فى الحوار .

وليكن قبولى لمبدأ تغيير عقيدة راسخة لدى ، هو قبولها عن اقتناع كامل بها بلا تذبذب مع كل رأى ، أملاً فى تعميق جذور العقيده الايمانيه بفضل تقابل الفكر مع المحدثين الآخرين .. والاهتداء الى تأصيل جذورها فى الوجدان الى لب العقيدة الذاتية .

اذن فلهذا الحوار ضرورة ملحة لوضع نهاية للزعامه التى يفرضها الغرب منذ خمسة قرون — وصولا لتعريف جديد يؤيده كل الاخرين للثقافة ولعلاقة الانسان مع الطبيعة .

وقد سبق ان اشرنا توا للنظرية الفاوستية والديكارتية التى تقصر دور الطبيعة على انها مجرد مستودع ومستقر . ولكن حسبنا هنا — واسمحوا لى أن استعير ثانية تعبيرا من مجال تخصصى طالما أننى أقوم بتدريس الفلسفة الجمالية أو فلسفة الفن — أقول حسبنا أن ننتظر الى لوحة من لوحات الرسم الصينى خاصة مايرجع منها الى الأزمان الغابرة وهى ثورة فى الفن الصينى ، لندرك أن الانسان لايعدو ان يكون شيئا صغيرا حقيرا وسط هذه اللوحة ، وأنه — اى الانسان — ملك للطبيعة ، وليس كما يصوره المفهوم الغربى هو المالك للطبيعة . لذلك تجدنى أعتبر فن الرسم الصينى فى الأزمنة الغابرة بمثابة الأيقونة فى الفن المسيحى ، ففيه تتجلى عظمة الله وقدرته واستشعار لوجوده فى داخل حياة الانسان وظهور أبعاد هذا الوجود داخل حياة الانسان ذاته لتجعل منه بشرا سويا ، فالانسان لايرقى الى مرتبة الانسان الا اذا انصف بهذا البعد الالهى .

ولم يكن الرسم الصينى وحده هو المُعَبِّرُ عن هذا الاستشعار بالبعد الالهى : انظروا الى فن السجاد العجمى ، ذلك السجاد العجمى الفاخر حيث يغلب منظر الحديقة — والحديقة بالفارسية تدعى فردوس وأظنها كلمة عربية أيضا — حديقة غناء بالنسبة لشعب الصحراء ، ياله من حلم ، انه وصف للجنة . وقد سبق لاحد مفسرى القرآن ان أشار الى صورة الجنات الاربعة بأنها محاولة لتقريب حقيقة غائبة عن الاعين إلا وهى العالم الالهى .

اذا أهو الانسان الذى يملك الطبيعة أم الطبيعة هى التى تملكه ؟ الذى لاشك فيه أنه ملك لها .

ثانيا : ــــ العلاقات الجديدة بين الانسان وأخيه الانسان .... لقد أشرنا فيما سبق الى تلك المجتمعات الغربية التى ظلت تتأرجح مابين الفردية القائمة على المركزية والاستبدادية المطلقة دون أن تاخذ فى الاعتبار المجتمع ذاته . وأنا أرى أنه يتعين علينا فى حوار الحضارات أن نضع تصورا جديدا لعلاقة الانسان بأخيه الانسان .

لقد قدر لى أن اعيش فتره طويلة من حياتى فى أفريقيا السوداء بل وبين المستوطنين الذين يعيشون على السواحل وفيهم تتراكم كل رذائل الغرب مع بعض مساوىء المجتمعات الافريقية ، ولما بدأتُ أتوغل داخل البلاد وجدت نوعية جديدة للانسان ونوعا جديدا من العلاقات يسود بين الناس ، علاقة الاحساس بالجماعة .

ولايسعنى هنا الا أن أعود فأشير الى فلسفة الجمال . لقد عدنا الى بلدنا نحمل من تلك الدول بعض الاقنعة التى سرقناها من أفريقيا السوداء وقمنا بعرضها فى متاحفنا ، وقد اعتبرها ( مالرو ) تحفا فنية . ولكن القناع فى نظرى ليس قطعة فنية .. انه يستخدم أثناء الرقص فى هذه المجتمعات الافريقية التقليدية كرمز وبديل للاله فيه تجتمع القوى الخالقة للطبيعة والاسلاف والأوثان ويشع بالقوة على كل أعضاء المجتمع . وهذا رمز كبير فيه جمال فى العراقة وقد أعطيناه حقه من التقدير ، بل وقد أثنى عليه ايضا بيكاسو وغيره . ولكن ليكن واضحا أننا لم نقدره إلا لصفاته الشكلية العظيمة متجاوزين عن صفتة الروحيه . فهذا التوازن بين الاحجام وهذه القدرة على التجاوز ، وهذه الاستعاضة عن كل القوى الاخوى إن هو الاتعبير عن ظاهرة روحية بل وأقول دينية يمكن أن يندرج تحتها ثلاثة او اربعة مفاهيم . ولنقدم مثالا للجماعات ، ان أهم ما يميزها فى نظرى هـو البعد عن الفردية ، فالاحساس بالحياة وسط جماعة لا يتوافر لدى الا اذا أحسست أن مركز حياتى ليس فى داخلى ولكن فى داخل الاخرين ... فحتى فى مفهوم الديانة المسيحية ثمة فارق بين الفرد ــــ الذى قيل عنه أنه ذرة يفصله فراغ عما عداه ــــ والنفس . فالنفس هى الاخرى ذات نوعية خاصة فهى لا تختلط بالجماعه

ولكنها ليست من طبيعة الكرة التى يفصلها فراغ عن غيرها وانما هى من طبيعة الامواج ، فالموجة تارة منفصلة وتارة فى المحيط ، وهى بلا حدود على غير حال الذرة .... فتتأثر بتقلبات المحيط بل ومؤثرات القمر ، وأعنى به نظرية المد والجدر .. وأعني بذلك أن الموجة الواحدة تحوى كل قوى العالم الخارجى ... وفى اعتقادى أن هذا مايميز الانسان وسط مجتمعه عن الفرد فى الغابة .

وهذه هى الروح السائدة فى المجتمعات الافريقيـة أو فى الامة الاسلامية فى حقيقتها وفى منبعها ، عكس الفردية المتفشية فى مجتمعنا الغربى ، التى تختصر البعد الالهى وتزعم الاستغناء عن الله ، حتى ليقال أن أحد علماء الرياضيات والعلوم والفلك سئل يوما من أحد تلامذته الملحدين (أين الله فى هذا النظام الفلكى ؟) فأجاب (لم اجد ضروره لطرح هذا الفرض) وما أعجبها من طريقة لتصور الله ، أيتأتى ذلك بمقارنته بعالم يسير بطريقة اليه ؟ أم بتصوره كمن يقوم بتصليح الساعات الذى يأتى بين الحين والآخر لضبطها ؟

لقد اقحم الغرب نفسه فى طريق مسدود . من هذا المنطلق أرى أن أمامنا الكثير الذى يتعين علينا أن نستفيد منه من الثقافات غير الغربية وبالذات من الآسلام الذى أثرى العلوم التى فاضت بنورها على العالم أجمع وعلى أوروبا أيضا .

ولعل أهم ما يمتاز به الاسلام فى نظرى أن كل ظاهرة لا تؤخذ منفصلة فى روابطها عن غيرها من الظواهر ، ان ثمة ربط بين ظواهر الطبيعة التى بلغ العلم فى دراستها مبلغا عظيما ، وعلاقة الانسان بربه . وفى القران آية تحدد حركة كل شىء بارادة الله ، اى ان كل ظاهرة لاتدرس منفصلة على حدة وإنما تدرس من خلال علاقتها بالله انه حديث الله الينا . وهذا ما تمتاز به العلوم الاسلامية فى جوهرها . فاذا ماأخذنا عن الاسلام هذه المعطيات على غيرها من المعطيات التى يمكن أن نكتشفها فى حضارات اخرى ، أمكننا اجراء الحوار الكفيل بانتشالنا من تلك الهوة التى أقحمنا أنفسنا فيها بجنون بل ونقحم العالم أجمع فيها بسبب الزعامة التامة التى يفرضها الغرب .

اذا هو الحوار الذى لابد منه ، حقيقة أن قيام هذا الحوار تعترضه مشكلات

جمة ، أجملها صديق لى يدعى محمد بدجاوى سفير الجزائر السابق فى فرنسا فى مقدمة كتابى وعود الاسلام اذ يقول (انه من الصعوبة بمكان اجراء هذا الحوار لانه طبقا لمجريات الامور حاليا أو فى العالم سيكون الحوار قائما بالضرورة بين جماعات تتفاوت فى موازين قواها ، وبالتالى يكون الحوار قائما منذ البداية على أساس خاطىء) . وهذه حقيقه لاتقبل الجدل ، واحاول جاهدا أن اجد لها حلا أنا وصديقى بدجاوى . ذلك أنه ثمة نقطة بالغة الصعوبة والتعقيد تعترض طريقنا ، فلو اننا قصرنا البحث فى أسباب هذا التفاوت على الحقبة الاخيرة من التاريخ حقبة القرون الخمس من الزعامة الغربية التى سنكثر من ذكرها ـــ نجد ان الاستعمار كان السبب الرئيسى لوقف نمو الثقافات والحضارات ، وقد توجد اسباب إخرى بطبيعة الحال ، ولكن الاستعمار كان له الدور الاكبر فى انكار هذه الحضارات بل وتدميرها بلا هوادة وهى فى اوج ازدهارها ، فطمست بعض الحضارات كالحضارة الافريقية ومزقت حضارات اخرى الى أشلاء ، وهذا ما حدث بالذات للحضاره الاسلامية بل وللامة الاسلامية بدعوى قومية زائفة الاسس ، فتفتت الى دول متباينة ، وقضت على تلك الجماعة الاسلامية الكبيرة التى كانت تعطى صورة كبيرة للمجتمع . فقد بهرتنى للغاية قدرة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» على انشاء مجتمع اسلامى مثالى ، لا يستقى أسسه من أى من المجتمعات السابقه له ، فلا هو أقامه على صلة العروق والدم التى كانت تقوم عليها القبائل ، ولا على ملكية أرض كالامبراطوريات ولا على مجتمع الاسواق كالمدن الاغريقية ولا حتى على وحدة الثقافات التى لم تظهر على عهد رسول الله وان كان الاسلام بعد وفاته قد انتشر فى دول كانت تزخر بثقافات متباينة فأعاد إحياء تلك الثقافات ووحد شملها بوحدة العقيدة واللغة .

أعود فأقول ان هذا المجتمع المتميز لم يُبْنَ على الطبيعة ولا على الثقافة ولا على اى من المعطيات المكتسبة كالعرق والجنس والتى هى بالفعل معطيات لا معنى لها ، ولا حتى على ملكية أرض أو اسواق . انما بنى هذا المجتمع على دعامة الايمان . أو بمعنى آخر على الانضواء المشترك تحت لواء عقيدة واحدة لرؤية مشتركة للانسان والله . ومن ثم استحق بحق صفة المجتمع العالمى الشامل الجامع المتاح لمن يريد ، بشرط الايمان بعقيدته .

كان هذا ابداعا عجيبا ـــ كما انه لاتُنقص من شأنه اى دعاية مروجة مغرضة ـــ فلا شبه فيه لولاية الهية ولطغيان رجل دين او كنيسة . وهو ما يرفضه الاسلام تماما .

ولنسترجع معا كيف تصرف رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ازاء الجماعات الاخرى حين شرع فى جمع امته المسلمة الصغيرة فى المدينة المنورة ، لقد واجه امه أخرى يهودية فاقترح عليها اتفاقاأشبه مايكون بالاتحاد الفيدرالى . وتلى هذا الاتفاق اتفاقات أخرى مع مسيحيى نجران وغيرهم فى عهد الخلفاء الاوائل ، فظهرت بذلك نواه امبراطورية اسلامية عالمية شاملة كنوع من اتحاد مجتمعات قائم على الايمان وان اختلفت مذاهبه ، فنحن نعلم مدى تمسك القرآن بالسماحة ، فلا اكراه فى الدين .

والطامه الكبرى أن هذا النموذج من العلاقة السمحه مع الطبيعة ومع الانسان ومع الخالق قد عرقله واعاق انتشاره استعمار غاشم ليفرض بدلا منه النظرية الغربية فى التنمية والثقافة .

والنتيجه الحتميه ، كان ظهور اتجاهين من ردود الفعل .... ومصر هى خير من يضرب به المثل فى هذا الشأن ، فبعد حملة بونابرت على مصر ظهر تيار مزدوج ، فريق يخلط ما بين التجديد والتقريب (أى الاصطباغ بالصبغه الغربية ) ظنا بأن الاخذ بالجديد والحديث يعنى تقليد الثورة الفرنسية واستيراد مبادئها ليس فى المجالين التقنى والاقتصاد بل والاخلاقى والانسانى . وفريق آخر متزمت رافض لكل مايستحدثه أدعياء لحضارة هؤلاء ، قانع بترديد ما نقله عن اسلافه . ولا غرو بهذا الانقسام يحدث عادة كلما منيت الشعوب بغزوات من الخارج . وحسبنا أن نسجل ان الاسلام قد سبق له ان أثبت فى عصر توسعه الاكبر خلال القرن الثامن قدراته الخارقه على الابداع فى خلق ثقافة نابعة من عقيدته ، مستلهما من جميع ثقافات عصره على اختلافها فارسية وهندية وبيزنطية واغريقية يونانية ليثرى ثقافته دون النيل من عقيدته ، وقد ضرب الاسلام بذلك خير مثال .

أعود فأقول ان الحديث قد تطرق بى من حوار الحضارات الى الحوار مع

الاسلام ، ومن الاسلام الى العالم الغربى ، ولسنا بصدد التأريخ فشاغلنا الشاغل ايجاد حل لمشكلة يتوقف عليها مصير كل منا .

وفحوى المشكله أن الاسلام بتدرجه من مجتمع صغير ـــ تمثل فى مجتمع المدينة المنورة مجتمع الرسول ـــ الى امبراطورية مترامية الاطراف فى خلال عام واحد قد أثار مشكلات جديدة فى نوعها . لم تكن قد طرحت على عهد رسول الله ... كالانتقال من اقتصاد تلعب فيه الاسواق الدور الغالب الى اقتصاد نقدى أشبه شىء بسوق مشتركة اسلامية يمتد من الهند الى المحيط الاطلنطى من سمرقند الى تمبوكتو .

ولما كانت الاديان الكتابية المنزلة وأعنى بها التوراة والانجيل والقرآن لاتعدو ان تكون تدخلا من جانب الله فى حياة النفس وهى بلاغ للناس كما ورد فى سور كثيرة من القرآن الكريم ولسان القوم الذى يكلمه الله ليهديه فيما يعترضه من مشاكل فى شئون حياته على اختلافها الى الحلول المثلى فى روحها وليس فى حرفيتها .

وقد ظهرت فى تلك الحقبة من الزمان نخبة من جهابزة الفكر اجتهدوا وغاصوا الى روح القرآن الكريم ليستقوا منه حلولا لمشكلات لم ترد على عهد رسول الله فبرزت مدارس فقهية عديدة لايعتد منها الان سوى بأربع استطاعت بتفاسيرها الفقهية ان تستصدر احكاما لمشكلات قائمة مستمده من روح القرآن وتعاليم السنة .

وهذه المقدرة الخلاقة ظاهرة بالغة الاهمية ، بحيث لو شئنا ان نقيم حوارا فليكن لصالح الاسلام وحده . ولعل السبب الاساسى لتواجدى هنا ـــ بل لاعتناقى الاسلام ـــ هو رغبتى فى ان يحيق الفشل بكلا النظامين الرأسمالى والاشتراكى على السواء باعتبارهما وجهين مختلفين لنموذج واحد كما سبق ان اوردنا .

اما الاسلام فمن ابرز خواصه انارة السبيل وتبيان الهدف والاديان السماوية كلها فعلت المثل ولكن المسيحية لم تحل مشكلات عصرنا لسبب اختلاف الازمنة . فعلى عهد المسيح كانت مشكلات الحياة الداخلية والعقائدية

منفصلة عن المشكلات السياسية والعلاقات الاجتماعية وقد أجملها المسيح بقوله «دع مالقيصر لقيصر وما لله لله» وهذه العباره بالقياس للزمن الذى وردت فيه تعتبر ثوريه تقلب رأسا على عقب نظام الحياه السائد وقتئذ . وحسبك ان تضع نفسك مكان حاكم رومانى وقت ان كان القيصر الها يعبد وهو القاهر الاعظم فاذا المسيح القاهر يأتى ليقطع شيئا من سلطان قيصر الذى هيمن على النفوس كما هيمن على الابدان . فكان لابد ان يكون جزاؤه الموت الزؤام .

اما اتباع المسيح فكانوا اقل بصيرة واعتبروا ذلك فصلا جذريا بين العقيدة الايمانية والحياة السياسية ، أو بمعنى آخر بين الحياة الداخلية والعلاقات الاجتماعية .

وهنا يظهر نبينا محمد ، فلم يكن مجرد رسول . بل كان كذلك رجل الدولة الذى ارسى اسس مجتمع الدولة الحقيقية لدى هجرته الى المدينة المنورة ... كان الزوج والاب ورجل الاعمال والقائد الحربى والقاضى . وقد صادفته مشكلات لم تكن لتصادف المسيح فى وجود قيصر ، وهذا سبب التداعى السالف الذكر ، والذى وضح لى حين كنت طرفا فى حوار سابق بين مسيحى وماركسى وكنت ارى وقتئذ ولازلت ـــ أن الدين المسيحى كدين وكامتداد لدين ابراهيم يعطى معنى لحياة الانسان بغير ان يزودنا باسلوب تحقيق هذا المعنى . وكنت أحاول أن اجد فى الماركسية اساليب تقنية فعالة ، ولست بنادم على ذلك لان الماركسية تحوى بالفعل وسائل تقنية يجدر بنا استخدامها بشرط عدم الاخذ بالماركسية كايدلوجية تحتذى أو كمبدأ انسانى يعتنق وانما كطريقة تدريس مبادرة تاريخية وهو ما يعنى فن تحليل متناقضات شعب معين او بلد معين ، ومن منطلق هذا التحليل يمكن العثور على المشروعات الكفيلة بتخطى تلك المتناقضات .

وها هو ذا الاسلام يجمع طرفى العقد . ولا أعنى أن قراءة القرآن والسنه تكفى للوقوف على علاج جاهز لكل مشكلات عصرنا وانما نجد عند كل خطوة نبراسا يهدينا ويرشدنا الى سواء السبيل فتبين حركتنا ومعنى حياتنا وهدف أعمالنا .

ولكن حل مشكلات عصرنا ـــ على نحو مافعل أئمة الفكر الاوائل فى

عهد الازدهار والاجتهاد ـــ وتحمل تبعه ذلك ليس بالامر اليسير وقد سبق لبعض المصلحين هنا فى مصر ان نادوا خلال القرن التاسع عشر بضرورة الحفاظ على العقيدة الاسلامية مع الا خذ باساليب التقنية الغربية . والفكرة براقة فى جملتها ـــ ولكن تنفيذها ليس بالسهل ـــ فالاسلوب التقنى يحدد إطارا كاملا لاسلوب حياه ، ولو تعارض هذا الاسلوب مع اسلوب الحياه الاسلامى لوجب عندئذ تحديد مايمكن تقبله او رفضه أو ادماجه او تعديله او محاولة احيائه .

ونحن نشهد اليوم احياء لعهد هيمنت فيه دولتان عظيمتان فى سالف الزمان على العالم هما الدولة البيزنطية والدولة الفارسية فى صورة دولتين أخريين تتبعان معدل نمو واحد وتتقاسمان العالم وهما الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية .

والسؤال المطروح الآن كيف يتأتى للعالم الاسلامى الوصول الى حل للمشكلات التى استعصى حلها على هاتين الدولتين العظيمتين ؟ كيف يتأتى بقاء الانسان على النحو الذى حدده الله ؟

فى ظنى أن الحل الذى نصبو اليه لن يتأتى لا بتطبيق النظم الحديثة للاسلوب الغربى ولا بالرفض المتزمت لكل أنواع التجديد ، فلابد من الاجتهاد بكد وتعب سعيا وراء حل لكل حالة على حدة مع عدم اغفال الرجوع دائما الى القرآن كمصدر تشريع والهام . وفى القرآن الكريم عشرات الصور يضرب الله لنا فيها الامثال ويكلمنا بالرمز فلا معيار مشترك لشىء بين الله والانسان ، وهنا تكمن عظمة الدين الاسلامى ، هذا الفاصل الجذرى ، ونتيجه لذلك يخاطب الله تعالى الناس باللغه التى يفهمونها والااستعصى عليهم الفهم . وعلى العكس من ذلك اذا تحدث الانسان عن الله فقد جاء بالقرآن ايضا ان الانسان يعجز عن رؤية الله بل ويعجز ايضا عن ادراكه بفكره المجرد وما عليه الا ان يشير مستعينا ايضا بالامثله واوجه الشبه دون ان يصل فى النهاية الى حقيقة كنهه .

ولابد ان نتدبر قول الله تعالى «ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون» فهناك اذن من يمكنه تفكر وتدبر هذه الامثله .
هذا اولا .

وثانيا يقال ان تدخل الله فى امور الناس جاء حسب ترتيب تاريخى .... وانه رد الهى على مشكلات إنسانية فى عهد معين وزمن محدد .. ولنضرب مثلا لذلك .

قيل بوجوب الوضوء قبل الصلاة ، فان تعذر وجود الماء ، جاز استخدام «الصعيد الطيب اى التراب» اى التيمم . فلو شئنا ان نشرح القرآن الكريم لبعض سكان الاسكيمو ــــ وانه لامل ان يسلم الكثير من اهل الاسكيمو ــــ فكيف تشرح لهم التيمم وقد لاتوجد فى لغتهم كلمة ترمز لهذا المعنى تعبر عن حقيقة لاوجود لها عندهم واعنى به التراب أو الصعيد الطيب ، فهذا ما أعنيه أن القرآن كان يخاطب شعبا معينا بتجربة معينة يعيشها كل يوم ، تماما كالانجيل حين يتحدث عن مملكة الله بالامثلة التى تلائم حياة الزراعه والنماء كالقمح وغيره ( وان كان القمح مذكورا ايضا فى القرآن إنه يخاطبهم بلغة تعيها عقولهم ، لذلك حين يتحدث القرآن عن الجنة ، يلجأ الى حلم يراود رجل الصحراء ، حلم كبير ، حلم السعادة والازدهار للانسان . وهذا يؤدى الى استخدام صورة مرئية لتوضيح حقيقة يستعصى رؤيتها .

وثالثا (واظن انه لاينبغى وضع ما سبق قوله فى هذا الصدد تحت باب واحد) هذه الملاحظة الثالثة ايضا يعلمنا اياها القرآن الكريم ، إذ ينص فى بعض آياته مثلا على تحريم استخدام لحم الخنزير «فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه والله غفور رحيم) ولكن لاينبغى وضع حكم اكل لحم الخنزير فى نفس درجة الشهادة ووحدانية الله ورسالة نبيه . فلا بد من الترتيب الذى ينطلق اولا وقبل كل شىء من التوحيد الذى هو بمثابة العمود الفقرى للدين الاسلامى . واعتقد ان هذا ما ينبغى علينا الانطلاق من اساسه .

واخيرا أحاول أن أختم كلامى لاننى قد تجاوزت الوقت المحدد لى من فرط ثرثرتى فأقول ختاما وببساطه ان اهم ما يعنينا اليوم هو تبين الافاق المفتوحة أمامنا ولمحاولة استغلالها ، وأعتقد انه منذ القرن الثامن لم تتوافر للاسلام مقومات الغلبة ولا اعنى بها الغلبة العسكرية وانما أقصد الثورة الفكرية قدرما تتوافر الآن حيث انه فى مجتمعات الغرب عام ١٩٦٨ على التحديد أدركت جماهير الشباب ــــ طلبة وعمالا على السواء ــــ حقيقة فذة لم يدركها من قبل علماء الاقتصاد الفطاحل ولازالوا يجهلونها حتى الآن مع الاسف وهى

أن نموذج التقدم والنمو الذى تلتزمه المجتمعات الغربية تنبع خطورته من جوانب نجاحه أكثر مما تنبع من جوانب فشله . فحتى ذلك العام كان مفهوم الثوريه التى وضع أسسها ماركس هو تحليل أنماط الرأسماليه وقوانين النظام الرأسمالى وما قد يعترضها من أزمات والاخطار التى يمكن أن تنجم عن هذه الازمات ، هذا فى وقت لم يكن ثمة وجود لازمات خطيرة . فالرأسماليه كانت فى خير حال ، معدل التنميه بها مقبولا .. بلا كثرة من بطالة أى أن كل المؤشرات الاقتصادية تؤكد السير نحو الرخاء .

وفجأه حدثت فى فرنسا الازمة الخطيرة التى نعرفها اذ هدد عشرة ملايين منها بالاضراب فكانت بمثابه ثورة حقيقيه.

ولعل أغرب ما يستلفت النظر فى هذه الثورة هو أزمة الضمير وصحوة الغضب على نظام النمو الغربى لمواطن النجاح فيه أكثر من مواطن الاخفاق .

كانت هذه ثورة فطرية عجيبة ، هى وان لم تطرح حلا للمشكلة الا انها كانت اشارة ودليلا على وجود الازمة . اذ كان المتظاهرون يحملون لافتات لصور عديدة لم يكن بينها صورة واحدة لرجل أبيض بل كانت صور ماوتس تونج ولومومبا وجمال عبد الناصر اى أنها لشخصيات لزعماء من العالم الثالث . ليس بينها أى شخصية من مصادر الالهام بالنسبة لهذه الجماهير حتى ماركس نفسه . وهذا هو وجه العجب فى هذه الثورة انها اعتبرت أن الغرب قد اغتصب لنفسه السياده على العالم دون وجه حق وأنه قد نصب من نفسه زعيما فكريا على قارات العالم القديم الثلاث التى كانت مهدا للحكم كما أشرنا فى بداية هذا اللقاء وان هذه الجماهير قد أدركت ضرورة الحوار مع هذا العالم .. فلم يعد يكفيها العلم بهذه الحكمة بل رأت ضرورة السعى للقاء هذا العالم الثالث فراحت تبحث عنه فى كل مكان حتى وصلت الى كاتامندو فاذا بنا نرى من الشباب من يسير فى الحى اللاتينى قد ارتدى مسوح الرهبان البوذيين وحلق رأسه .. ومن يشرب الدخان وهو مالا يعدو أن يكون أشبه باستعراض للفنون الشعبية المختلفه ... سرعان ما صار بمثابة عدوى سعار حقيقى شامل فى الغرب كرد فعل لنموذج النمو الغربى سالف الذكر .

وفى عالم اليوم ... يثبت الاسلام انه يملك طرفى العقد وبمقدوره ان يهيمن على ما عداه من نظريات المفكرين الفرنسيين الغربية التى تجرد الحياه من روحها ومعناها . وتروج للاخلاقيه ، فالكاتب الفرنسى جاك مونو مثلا قال فى كتابه حول علم الاحياء بحتمية المصادفة وأصر على ضرورة تواجدها كشرط لاستمرار الحياه اتفاقا وعرضا .

هذا الكاتب قد توفى وأنا اعتذر عن التعريض بالنقد لاحد الاموات ولكن أذكر لكم اننى قد سبق وواجهته على شاشة التليفزيون الفرنسى وجابهته بأنه وقع فى سقطة فكرية وأن حدود علمه تقف عند علم الاحياء غير أنه جاهل تماما فيما يختص بالتاريخ والاخلاق والعقيدة .

وهناك كاتب عالمى آخر هو سارتر رأى أن الحياة هى مجرد عاطفة أو شغف غير مجدى .

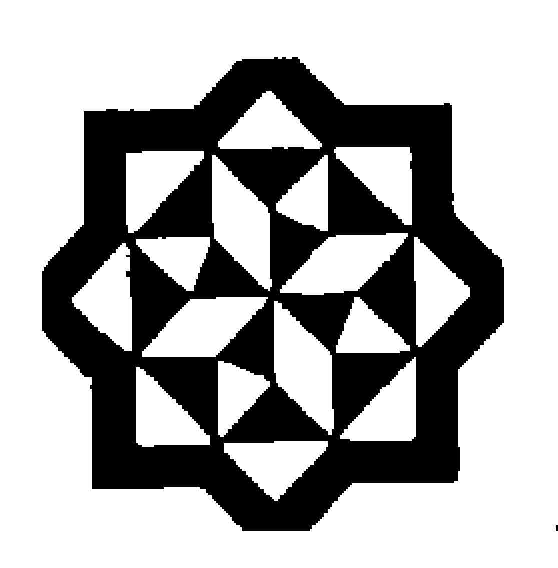
وحتى البير كامى لم يكتف بالترويج لفكرة البعث غير المجدى بل أنه عرضها مختلطة بنموذج الامل ويتمثل فكره فى عرض لاسطورة سيسيف الذى يظل الى الابد يدحرج حجرا الى قمة بالجبل وعندما يصل الحجر الى القمة يسقط فيعود سيسيف لدفعه أملا فى الوصول الى القمة وهكذا الى مالا نهاية .

ان هذهالافكار والكتابات تدفع بشبابنا الى اليأس واعتبار الحياة جحيما أو هاوية يسيرون اليها بعين مغمضة .

وقد تكلمت عن الرواد فقط ومنهم من حصل على جائزة نوبل أو رشح لها وبالطبع فأن لهؤلاء الرواد تلاميذ كثيرون اعتنقوا نفس الافكار واحدهم يحدثنا عن موت الانسان فيما يكتب وآخر يحدثنا عن موت الله وهو ماأعلنه نيتشه من قبل وثالث يصف الانسان بأنه دميه على مسرح الحياة .... كيف اصف هؤلاء المفكرين والكتاب ؟
انهم سفاحوا الثقافة والفكر . وفكد ذكر أحد المحررين ذات يوم فى جريدة امريكيه انه لاوجود للثقافة فى فرنسا ، وقامت ضده ثورة عارمة من بعض الكتاب الفرنسيين ، وقالوا انهم لايستحقون ان يوصفوا بالاصفار ، وكانت ثورتهم كغضبة الطلبه المراهقين ... ولذلك كتبت مقالا فى صحيفة لوماتان

استفسر منهم عن السبب فى رد الفعل الصاخب هذا واوجههم الى ان هناك رد ابسط يمكن ان يقدم وهو استعراض لما قدمه الكبار امثال مالرو وسارتر وكامى وهوجو للشباب ، وأسالهم عن الطريقة التى قدموها لارشاد الشباب .

واقرر فى النهاية ان هناك فى عالم اليوم امكانية قائمة ، وهى ان الاسلام اذا كان قادرا على ان يخاطب هذا الشعب بلغة هذا الشعب والا يكتفى بترديد التعاليم ويعرف كيف يغوص الى الروح ، روح الاسلام ، هنا فقط تظهر بارقة الامل ، الامل فى بعث جديد ، شريطة ان نتذكر قول مؤسس الاشتراكية فى فرنسا جورس (ان اخلاص المرء لاجداده لايكون بالابقاء على رماد مدفأتهم بل بإذكاء جذوة النار فيها) .





# مستقبل الاسلام فى الغرب

## النص الكامل «لمحاضرة الفيلسوف جارودى» بجامعة الازهر بمناسبة الاحتفال بالعيد الالفى

## ترجمة الدكتور رجاء ياقوت رئيس القسم الفرنسى بكلية الدراسات الانسانية بجامعة الازهر

ان الاسلام اليوم هو الدين الوحيد بين كل الاديان والنبوءات الذى مازال فى حاله تقدم مستمر .

فهو وان أصابه الضعف ربما فى القرن الثامن فى الاندلس الا أنه مازال ينتشر منذ هذا الوقت فى آسيا وفى الهند وفى أندونيسيا بل فى أماكن أبعد من هذا فى ماليزيا وبورما وتايلاند والصين وكوريا واليابان . وفى الفترة التى وقف فيها الزعيم جمال عبد الناصر فى مواجهة الغرب حدث فى أفريقيا السوداء تدهور فى المسيحية صاحبه اندحار فى الاستعمار وبتحرر كثير من الدول أصبحت القارة الافريقية بأكملها فى سبيلها لان تكون قارة اسلامية .

كما وصلت الموجة أيضا إلى أمريكا عند زنوج القارة الجديدة وفى آسيا الوسطى . وهكذا فان هناك صورة جديدة للإسلام قد بدأت فى الظهور تكمل نهضته وتفتحه حتى داخل البلاد التى تسودها الضغوط السوفيتية .

وعندما تتفجر هذه الآفاق سيظهر للعالم أجمع ان الإسلام حَيٌّ يستطيع مواجهة تحديات القرن كما استجاب فى الماضى لمتطلبات قارات ثلاث .

### النمط الغربى :

وقبل أن أحاول تبيان العلامات المشيرة لهذا التجديد الكبير للاسلام فى اطار قوانينه ونواميسه وروحه السمحه التى وضحت بالرغم من الطغيان

السياسى والضغوط الدينية التى تصاحبها ، يجب أن نشير الى الشروط الاساسية لهذا الانتشار الجديد .

فمنذ قرون خمسة يسيطر الغرب على كل العالم بدون أى شريك . وقد فرض الغرب نموذجه للتنمية ومنهجه الثقافى أيضا .

ويتطلب نموذجه للتنمية أن تُنهب كل الثروات المادية والانسانية التى تمتلكها كل الشعوب لفائدة الغرب وحده أى ما يعادل خمس سكان الكرة الأرضية فقط . ولذلك فالغرب ينتج أى شىء وبكميات كبيرة وفى وقت سريع سواء أكانت مادة مفيدة أو مؤذية أو حتى مميته مالأسلحة المدمرة التى تعد بحق سوقا لاينبض معينه أبدا . ذلك يمثل فى أجلى صوره هذا النموذج المخيف فى التنمية ويبين صفته الانتحارية . اذ أنه فى عام ١٩٨٢ قد صرفت ٦٥٠ مليارا من الدولارات لاغراض حربية أى أنه لكل فرد فىْ هذه المعمورة مايوازى أربعة أطنان من المتفجرات التقليدية . وأصبح هكذا من الممكن فنيا ولاول مرة فى تاريخ الانسانية منذ ثلاثة ملايين من السنوات ، أن يهدم كل أثر للحياة فى هده الارض .

وفى نفس هذا العام سنة ١٩٨٢ ، حسب التعداد الذى قدمته هيئة الامم المتحدة فهناك خمسون مليون نسمة فى العالم الثالث قد ماتوا جوعا أو بسبب سوء التغذية . ولايمكننا أن نتخيل صورة أبشع من هذه الصورة التى وصلت اليها الكرة الارضية بعد خمسة قرون من «التقدم» كما يجرؤون على تسمية هذه الفترة فى الغرب .

هذا الفشل التاريخى للمنهاج الخاص بالتنمية يتضح فى فشل المنهاج الغربى الحضارى .

فالحضارة الغربية تعتبر نفسها وقد بنيت من تراثين اثنين : التراث اليهودى ـــ المسيحى من ناحية والتراث اليونانى ـــ الرومانى من ناحية أخرى . هذان التراثان قد أكسباه هذه السمة التى يطلقون عليها لقب Hunquisue وهى اتجاه علمى يجعل من الإنسان كفرد مركز ومقياسا لكل شىء على ظهر البسيطة ، وهذه الفكرة ترجع الى الفلسفة الافلاطونية التى تفرق بين المادة وبين الروح وتجعل من الجسد سجنا للروح .

كما أورثتهم فلسفة أريسطو نظرة غربية للعالم وكأنه عالم قوى تسود فيه العقلانية وكذلك أحلام البشر بالتفوق والتحكم فى الطبيعة وفى البشرية جمعاء .. وهكذا يستمر اللبس بين الفردية البورجوازية والشخصية المسيحية ، بين عقلانية اليونانيين من جهة والوضعية من جهة أخرى ، بين العلم والتقنية ، بين السياسة والماكيافيلية ، أى بين سيادة الاساليب واغفال البحث عن الاغراض والغايات .

## التراث العربى الاسلامى

ولكننا لو أدخلنا فى الحسبان التراث الثالث للغربيين بعد التراث اليهودى ـــ المسيحى .. من ناحية والتراث اليونانى الرومانى من ناحية أخرى ، ألا وهو التراث العربى الاسلامى لاصبحت مسيرة الحضارة الغربية منذ عصر النهضة وحتى الآن أكثر وضوحا .

ونحن نتناسى كثيرا أن ما نطلق عليه اسم Reuaissauee فى الغرب (أى المولد الجديد أو عصر النهضة) لم يبدأ بالفعل فى ايطاليا بعد صحوة العصور القديمة اليونانية الرومانية التى تختلف عن النموذج اليهودى المسيحى ولكنه قام بالفعل قبل ذلك بثلاثة قرون عندما فتح العرب الجامعة الإسلامية فى قرطبة بأسبانيا ، ونشروا الترجمات العديدة للكتاب العرب كما شجعهم على ذلك القسيس ريموند من توليدو .

وهكذا فبدلا من أن يترجم هذا كصراع بين النزعة اليونانية ـــ الرومانية وبين النزعة اليهودية المسيحية ، صراع بين العلم والايمان ، بين الدولة المسيحية ، بين الفرد والمجتمع فان هذا التراث العربى الاسلامى ككل ، كان على العكس من ذلك يسمح بتعايش جميل بين السماوية والروحانية الخاصة بعقيدة ابراهيم التى يؤمن بها اليهود والمسيحيون والمسلمون على حد سواء كما كان يسمح بالعلم التجريبى ، وخصوصا باقامة أمه لاتشغلها فقط الصراعات بين الافراد أو الصراعات بين الدول .

ولكن للاسف الشديد فان هذا التراث الثالث لم ينقل للغرب الا بطريقة مشوهة .... فقد ألتهمت أوربا أحد أشكال الحضارة الاسلامية الا وهو العلم

التجريبى الذى يختلف عن العقلانية اليونانية والمدرسة السكولاستيكية (حيث تسود فلسفة أرسطو) التى تسمى بالمدرسة المسيحية حيث اهتمت بعلوم اللاهوت فى أواخر القرون الوسطى . وهكذا يكفى أن يترجم أو يقتبس Roger Bacan روجيه بيكون ـــ بعض فصول من كتاب «الابصار» لابن الهيثم حتى يطلق عليه لقب مؤسس الاسلوب التجريبى فى العلوم !!! .

## فلسفة الغاية ام التمسك بالاساليب ؟

ولكن الغرب اكتفى بهذه الظاهرة فقط ـــ وفقد هكذا نصف هذه الفلسفة العقلانية الإسلامية وفرق هكذا بين العلم والحكمه ، بين التحكم فى الاساليب والتفكير فى الاغراض والغايات .

مع أن الذى يميز العلم الاسلامى ككل هو أنه لايفرق أبدا بين الاستخدامين اللذين يقوم عليهما العقل الانسانى ألا وهما : البحث عن الاسباب والاغراض من ناحية ، والتأمل والاستنباط اللذان يسمحان للمرء أن يرتفع من الاحداث الى القوانين والنواميس ومن ناحية أخرى أن يرتفع من غايات بسيطة الى غايات أسمى حتى يلمس مايُشْعِرُ المرء بضآلته أمام اللانهاية لهذه الاجراءات .

هذا القصور الذى أصاب العقل الغربى جعل الإنسان الغربى يتساءل دائما عن «الكيف» أى عن الاسلوب ويغفل السؤال عن الاسباب ، هكذا يتساءل :

« كيف نصنع الاسلحة الذرية » ؟ « كيف نذهب الى القمر » ؟ ولايتساءل : « لماذا نصنع قنبلة ذرية » ؟ « لماذ نذهب الى القمر ؟ هل هذه فعلا أشياء أساسية بالنسبة للإنسان يجعلها تأتى فى المقام الاول ؟ ألا يمكننا بنفس هذه الامكانيات المالية والعلمية والإنسانية أن تصل الى أهداف أخرى ؟؟ وكأننا هكذا وبهذا العقل الذى تنقصه أنبل وظيفة ـــ تلك التى قد تجعلنا نتساءل عن معنى لحياتنا وتاريخنا ولكل أعمالنا ، وكأن فكرة « التقدم » معناها أن كل ماهو ممكن علميا وفنيا يجب أن يكون .

وفى هذه الأساليب قد نعتبرها مقدسة فان أعظم نتاج للعلم والفن فى الغرب ليس فى خدمة الانسان وفى سبيل تفتحه وتحرره أو لأية أغراض انسانية ، ولكنه فقط فى خدمة التنمية كتنمية ولخدمة السيطرة كسيطرة والعنف كعنف . فهو اذا فى خدمة هدم الطبيعة والانسان وليس لخلق مستقبل أفضل له .

وهكذا فان حضارتنا الغربية حاليا فى سبيل الموت لا لأنها تفتقد الأساليب ولكن لأنها تفتقد الغايات .

هذا هو اذا الوجه الخطير لأزمة الحضارة الغربية ، أزمة المعنى .

ان علماءنا الوضعيين وفنانينا الذين فقدوا الوجهة الصحيحة وكتابنا المتشائمين ، يجسدون هذه الأزمة بدلا من أن يساعدونا فى التغلب عليها ، وكأن الحضارة ليست تفكيرا فى الأغراض وفى معنى الحياة والموت . وهكذا نرى وحتى وسط الكبار منهم من يدفن الأمل ويحاول أن يقنع الشباب بأنه ليس هناك لحياتهم أو لموتهم أى معنى اطلاقا .

بل أكثر من هذا فان هناك عالما فرنسيا وصلت به فلسفته الوضعية الى حد أن استنتج لكل مقاييس الحياة بعض النماذج والصور التى تشير الى بعض التطور البيولوجى للحياة ، وحاول أن يقنعنا أن وجودنا كله لايقوم الا على ما هو ضروى وماهو أيضا عفوى دون أن يكون لهذا الوجود أى معنى انسانى .

وأكبر فلاسفتنا ذهب الى حد تعريف الحياة وكأنها عاطفة أو انفعال لاجدوى لهما يمثل فيها الناس الآخرون «جهنم» .

كما يتغنى أديب آخر عن اللامعقول l'qbsurde ويقدم لنا صورة مظلمة يكون فيها الاله Sisyphe (الذى حكمت عليه الآلهة بالعذاب الابدى) وقد أصبح سعيدا .

وعلى مستوى أدنى من هذا فان نسفس الموضوعات قد طرقت حيث يقول أحدهم ان «الانسان ألعوبة للهياكل والتركيبات» ويتكلم الآخر عن «موت الانسان» أمام ما يدعيه البعض من « موت الله » وهكذا فهم أنبياء مزيفون لا ينبئون الا بموت ودمار كل شىء .

## فشل النمط السوفيتى .

هل سيقولون «ان هذه مجرد أزمة للرأسمالية» ؟

للأسف ، فالعالم الاشتراكى الرسمى الذى يمثلة الاتحاد السوفيتى ، بالرغم من كل هذه الآمال التى قد ولدت عند ضحايا الرأسمالية ، لم يوفر لهم منذ ثورة أكتوبر ١٩١٧ نظاما مقنعا يرد على النظام الرأسمالى .

هذا لانه يتحدث عن نفس الغايات ، الا وهى التنمية مع مراعاة الرغبة التى يعلنونها عن التغلب على البلاد الرأسمالية وكأن الاشتراكية فقط مجرد طريقة للوصول الى هدف التنمية الرأسمالية وبدرجة أفضل من الرأسماليين أنفسهم .

اما فى مجال الثقافة ، فإن الاشتراكية الرسمية قد تناست القيم الروحية فى هذه الحياة ، هذا على عكس ماقاله كارل ماركس نفسه فى كتابه «الرأسمال» حيث يرى أن مولد الانسان ، وخروجه من المرحلة الحيوانية مرتبط باحساسه بالهدف وبالغرض ويبدأ بالفعل تاريخه العظيم مع أن كارل ماركس كان ينقد الفكرة الثنائية للروحانية كما يراها علماء اللاهوت فى وقتة ومع انه ايضا كان يعتقد أن الدين بمثابة أفيون للشعوب .

الايمكننا أن نخرج من هذا الطريق المسدود الذى وصلنا اليه بعد هزيمه الغرب المضاعفة وندخل من جديد المعنى وهو بحق البعد الاسمى وهذا عن طريق نفس هذه التقاليد الدينية التى استقبلها الغرب سواء أكانت اليهودية أو المسيحية ؟ .

أما النبى محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقل ابدا انه يؤسس دينا جديدا .

فالقرآن لا يفتأ يؤكد انه تكمله للدين الاساسى ، دين ابراهيم عليه السلام الذى باسلامه المطلق للإراده الآلهية قد وافق على التضحية بابنه وهذا يعد بحق المنهج المثالى الاكمل .

## الاسباب الثلاثة وراء فشل الرسالة التوارنية .

وقد بدأت رسالة التوارة فى الاضمحلال عندما خالطها تفسير قبلى كنسى يزعم انه شرعى لوحدة الانسان مع الله سبحانه وتعالى كما عاشها ابراهيم وكما يقول هذا القانون الذى أرسل لموسى .

فالوحدة بين الرب والقانون كانت موجهه بالفعل الى كل الناس كما تؤكد الكتب السماوية فى كل قبائل الارض .

ولكننا نرى فى الوصية القديمة وبعد أن انقسمت اسرائيل ومملكة يهوذا حوالى سنة ٩٣٠ قبل الميلاد ، نرى بوضوح تلك الفكرتين ، أولاهما «روحية» عن مايسمى «الشعب المختار» يكون فيها هذا الشعب من لبوا نداء الله أو مثل ابراهيم ، من يكونون أمة الايمان باسلامهم لله والفكرة الثانية التى ترجع الى العنصر بكون فيها «الشعب المختار» هو من بقى فيه الدم والجنس الخاص بأولاد ابراهيم عليه السلام .

اما المفهوم الاول فهو عمومى شامل للناس جميعهم ايا كان عنصرهم أو جنسهم « الذين يلبون نداء الله » وهو المفهوم الذى يأتينا من كبار الأنبياء مثل اسحق ويعقوب والذى سيؤول بعد ذلك لسيدنا عيسى عليه السلام .

اما المفهوم الثانى القبلى العنصرى فهو قائم على التفرقة بين الاجناس ويظهر فى صورته الصارمة فى مملكة يهوذا عندما يطالب رجلان ، يعتبران ثقة بجانب ملك الفرس ، الا وهما الكاتب ازدراس Esdaes والكاهن نهيمى Neleuie بعد عودتهما من المنفى ، عندما يطالبان بقوانين التفرقة العنصرية التى تمنع الزواج من خارج القبيلة .

اما العنصر الثانى الذى أدى الى فساد دين ابراهيم بعد هذا التفسير القبلى والعنصرى للوحدة بين الخالق والمخلوق فهو نشأة الكنيسة واللاهوت . هنا ايضا يحق لنا أن نفرق بين الاتجاه «اللاوى» والاتجاه النبوى ، فالكاهن héuite متخصص فى شئون المناسك فقط وهو يعتبر همزة الوصل بين الرب والعباد ويقوم على تطبيق دقيق للمراسم ولاحكام الكنيسة الكهنوتية التى تغطى على أية واجبات دينية أخرى حتى أن هؤلاء الكهنة يفرضون عقوبة الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت . لذلك سوف يثور سيدنا عيسى عليه السلام ضد هذه الشكليات وذلك باسم الايمان الداخلى العميق .

والسبب الثالث وراء افساد الثقافة الدينية هو التفسير المادى لما يسمى « بالوعد » فالكنيسة القائمة على أهواء هؤلاء الكهنة وليس على النبوءة ، تربط بين « الوعد » وبين الارض كما تربط بين الاختيار ، فى اطار

مايسمونه بالشعب المختار بين الدم والعنصر ، ذلك بالرغم من هذه التقاليد الروحية العامة التى تسود الديانة اليهودية . لذلك فنحن نرى للاسف وحتى يومنا هذا فى فبراير ١٩٨٣ مثلا ـــ حيث تقوم جريدة اسرائيلية بتوجيه المديح للجنرال اربل شارون وأعماله البشعة فى لبنان فى مقال بعنوان : « بوشع ، جد شارون » .

## تعاليم عيسى عليه السلام

فسيدنا عيسى عليه السلام ، بحياته وتعاليمه ، برفعه ثم بعثه . يجدد هذه التقاليد النبوية العظيمة التى تواجه هذه الفلسفة الكهنوتية البيروقراطية وحتى يتسنى له أن يقوم برسالته على الوجه الاكمل ، فقد ركز على الروحانية وعلى التسامى وعلى البعد غن السياسة لذلك عندما حاول سيدنا عيسى عليه السلام أن يواجه هذه المادية التى تحيطه وأن يعيد التوازن وينكر الانسان بحاجته لما هو أسمى وأغلى من الخبز فانما هو قد رفض نسيان القيم الروحية دون أن يهاجم فى نفس الوقت الحياة المادية نفسها . ولكن هؤلاء الذين كانوا يطلقون كذبا على أنفسهم لقب «خلفاء» سيدنا عيسى والذين كانوا يكسبون من ورائه الثراء والسلطة فقد قاموا بوعظ الناس وملئهم بالخوف والكراهية ضد المادة ، ضد العالم وضد التاريخ .

ولقد حاول سيدنا عيسى فى ظل سيطرة قياصرة روما أن ببقى على الحياة الداخلية للانسان على سموه واتجاهه الى الله . ولقد نطق هذه الجملة التى قد تعد هادمه فى هذا الوقت : «اعط ما لقيصر لقيصروما لله لله» وكان الامبراطور بمثابة الا له الذى كان يعاقب بالموت فعلا كل من يحاول أن يأخذ منه النفوس التى يزعم انه يسيطر عليها كما هو مسيطر على الجساد .

وهكذا تحولت هذه الكلمة الى هى شعار كاذب يفرق بين الايمان والسياسة ويجعل من الدين مسألة خاصة كى يتمكن الحكام من أن يسودوا غافلين عن أعين الله .

## تعاليم محمد صلوات الله عليه :

أما النبى محمد صلى الله عليه وسلم فلم يكن مجرد نبى وانما كان أيضا رجل دولة ومشرعا وزوجا وأبا وتاجرا وقاضيا وقائد حرب . وأخذت الرساله

النبوية أبعادا جديدة لم يكن من الممكن أن تأخذها وقت سيدنا عيسى عليه السلام . فقد عمت على كل العلاقات الاجتماعية دون أن تفقد أبعادها الروحية أبدا . وقد قيل في القرآن الكريم «إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» الرعد آية !!

هكذا كانت الخاصية القرآنية هى منهاج أخلاقى للعمل فالدين الاسلامى يرفض بتاتا حياة الاديرة التى يكون فيها التأمل هو السبيل الوحيد والهدف الاسمى .

فالانسان فى القرآن هو الخليفة فى الارض والقائم عليها وهو مسئول تماما عن تاريخه . لذلك فهذه الرسالة لايمكن أبدا أن تنفذ الا فى داخل الجماعة أو الامة فالمسلم هو أولا من يقتنع بأن الله قد خلقه ليكون مسئولا عن مصير كل الناس .

هذه الامة الاسلامية هى من نوع جديد فهى لاترتكز لا على جماعة من نفس الدم أو من نفس العنصر ولا ترتكز على أرض أو على سوق معينة ولاحتى على حضارة بعينها . فهى لاتقوم على أى شىء يورث سواء فى الطبيعة أو فى التاريخ ، أو على شىء يقوم على عطاء معين أو على ماض معين . وانما تقوم الامة على الاختيار وعلى الايمان ، إختيار هو بمثابة الاستجابة للنداء والاستسلام لارادة الله الذى يحتم على الفرد معاونة الآخرين سواء فى حاجاتهم المادية أو فى حاجاتهم الروحية .

كذلك فأنت لاتجد فى الاسلام شيئا يجعلك تعتبر الدين مسألة خاصة أو شخصية ففكرة إعطاء مالقيصر لقيصر وماالله لله غير مقبولة بتاتا من المسلم فأى عمل انسانى له أبعاده الروحية السماوية وأول واجب بالتالى على الحاكم هو أن بوائم بين أعماله والارادرة الالهية غير ناظر لفائدة شخصية أو لمصلحة تتعلق بمجموعة معينة أو بدولة معينة وانما تتعلق بالعالم أجمع وبالانسانية جمعاء .

وهكذا فان الايمان والسياسة هما بعدان للانسان قد ظلا مختلطين بالكنسية والدولة أى بمؤسستين رسميتين وهكذا اختلط الامر على الناس .

## فى مواجهه العقلية الغربية .

أما المفهوم الاسلامى الذى لايعرف فكرة الكنسية ، فقد جاء من الوحدة العميقة التى تربط بين هذين الاستخدامين للعقل : الحركة التى تربط بين الاسلوب والاحداث والتى تعطينا الاساليب ، والحركة الثانية التى تجعلنا نصعد من هدف الى هدف ، من هدف معين الى هدف أسمى وأن نرتب هكذا الاساليب كلها بانسجام لتوائم الأهداف الروحية المسلمة .

أما الغرب ومنذ عصر النهضة فقد هدم الطريقة الوحيدة للعقل التى قد تؤدى الى فائدة ماوحجبها عن استخدامها الروحى الوحيد ، الا وهو البحث عن المعنى ، وقد أوصل هذا البتر للعقل أن أصبح العلم مجرد مذهب يقرر الاكتفاء به من حيث قدرته على الذهاب الى المسائل القصوى الدائرة على المعرفة البشرية أى ما يسمى Scieutsue وأوصل الفن الى التكنوقراطية والسياسة الى تكنيك السلطة فقط .

وعلى العكس من ذلك فالرسالة القرآنية تسمح لنا بأن نعيد التفكير فى كل أشكال العمل من التقنية الى السياسة وتطالبنا سواء أكنا علماء أم فنيين أم رجال سياسة أم مجرد رجال عاديين ألا نتساءل عن «الكيف» أى عن الاسلوب ولكننا نتساءل أولا لماذا أى عن أسباب الاهداف وعن المعنى وعن هدف وغاية كل عمل من أعمالنا .

أما الشيء الثانى الذى أعطاه لنا القرآن وهو شيء هام جدا بالنسبة لحياتنا ولقائنا فهو المضاد لهاتين النزعتين الفردية والقومية وهما الوباءان اللذان سيؤديان الى موت وانتحار الكوكب الأرضى بأكمله .

فعندما أسس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أول دولة اسلامية فى سنة ٦٢٢هـ فقد رفض أى تعاون يقوم على الصلة القبلية أو على صلة الدم أو على أية طبيعة أخرى ، قد اعتبر أن المجتمع سيكون مجتمعا انسانيا حقا وغير حيوانى أى أنه لن يقوم على المصالح وعلى الرغبات ، وقد أقام الإسلام نوعا من السلام مع الامة اليهودية ، وبعد ذلك بستة أعوام مع مسيحى نجران بالجزيرة العربية وانتشر هذا الصلح وضم الهنود والبوذيين فى عصر الخلفاء

الاول .. وهكذا خلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نموذجا للأمة الاسلامية التى لا يمكن ابدا ان تكون أمة قومية وانما دولية .. وهكذا لاتقوم الدولة الابتنفيذ احكام الله .

أما الفردية فهى تختلف اختلافا كليا فى النظرة الشاملة المسلمة للعالم ... فالعالم لا يحكمة الا التوحيد أى لا ينظر للشىء الاكجزء من كل ، ليس من وجهة نظر مصلحة دولة معينة أو فئة معينة ولكن للمصلحة العامة للكوكب الأرضى كله .

إن أحكام الاسلام لا تنطلق من وجهة نظر فرد يعتبر نفسه المركز الرئيسى لكل شىء ولكن من مشيئة الله سبحانه وتعالى ومن منطلق هذه الروحية التى تجعل من الانا الفردية بعدا روحيا وأساسيا هو المشاركة فى كل شىء ، فى الشعلة التى هى بمثابة شرارة منها كما كتب أحد الصوفيين المسلمين .

## الوحى والقرآن :

ان القرآن هو وحى من عند الله سبحانه وتعالى .. فهو مثل التواره ، تدخل سماوى فى تاريخ وحياة الناس ، لذلك اذا كان المفكر كارل بارت . قد كتب : «كل مأأقوله عن الله فان الانسان هو الذى قاله» فذلك يدعونا الى ان نفكر فى قراءة القرآن على مستوى آخر قائم على الفلسفة الدينية أى انه كلام منزل من عند الله سبحانه وتعالى .

فعظمة الله سبحانه وتعالى سموه تعني أنه لا يمكننا ابدا أن نعرف عنه الا ما ليس هو عليه لانه لا يوجد هناك أى وجه تشابه واحد بين الانسان وخالقة ، فقد قيل فى القرآن العين لا يمكن ان تراه فهو يفوق أى حس انسانى ، ويفوق كذلك أى تعريف أو أية فكرة ، فالكلمة اذا لا يمكن أبدا وبأية حال من الاحوال الا أن تصوره بمجاز بعيد لايوفيه قدره بأى حال من الاحوال .

ومن المفسرين للقرآن ، العالم الزمخشرى الذى يقول فى تفسيره للآية ٣٥ من السورة الثالثة عشرة التى توصف فيها الجنة على شكل حديقة تجرى من تحتها الانهار«مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار أكلها

دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار » الرعد ٣٥ ... يقول الزمخشرى إن هذه بمثابة مجاز وتصوير لان ما نعرفه بالتجربة يدل على ما سوف لا ندركة بالحس .. وهكذا يعبر هذا العالم عن مبدأ هام فى كل الآيان وفى كل تفسير الا وهو اننا لا يمكننا ان نحس او نرى كل ما هو الهى ولكننا نستطيع فقط ان نتصوره .

وبما أننا لا يمكننا أن نعرف الله وأن نقارنه بأى شىء ، فهذا يفوق قدراتنا الكلامية فى لغاتنا الانسانية .

ولذلك فأيه أفكار دينية يكون الاسلوب التعبيرى عنها فى نطاق الشعر وحده فلكى نتذكر الله ووجوده فى كل ما يحيط بنا فلا يمكننا الا ان نستحضره ونذكره .

واذا كانت الرسالة هى بالفعل تدخل إلهى فى تاريخ وحياة الناس فالصلاة مثلا هى تقرب الانسان لله وهى تقوم على نفس القواعد التى تقوم عليها صلة الخالق بنا .. فكما اننا لا يمكننا ان نتحدث عن الله الا فى صور ورموز ، كذلك فالخالق لا يتحدث الى الانسان الا فى صور وآيات تحتم على الانسان ان يرتبها ويتفهمها ، تكون هذه الآيات على شكل حدث او ظاهرة طبيعية أو على شكل انسان او سور من كتاب .. هذا هو الاسلوب الذى يحدثنا به الخالق العظيم .

«انظر كيف فصلنا الآيات لقوم يتفكرون» .

لذلك فنحن ندرك أن أى شىء قد يعتبر آية من آيات الله نفك رموزها ونربط بينها وبين الغاية الاسمى أى نربط بينها وبين الخالق الجبار ... ان هذا ليس مجرد ربط حدث بحدث آخر أى بقانون معين ، ولكننا نتعدى هذه الفلسفة الوضعية عندما نوصل بين الحدث وبين المعنى وراء هذا الحدث .

## لكى نتعلم قراءة القرآن :

وقد عرفنا الوسيلة المثلى لقراءة القرآن ـــ كما عرفنا من قبل فى قراءة التوراة ـــ من هذه الآية الكريمة التى تقول ان الكتاب يحوى « آيات

محكمات وآيات متشابهات» . «هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات» آل عمران ٧

فكلما قرأنا آية فى القرآن بمفردها وفى معناها اللفظى وحده متناسين عظمة الله ومتناسين اننا بصدد صور أو رموز ، فاننا لانكون هكذا اوفياء للكلمة القرآنية ولكننا نسبغ عليها ضعفنا الفكرى الانسانى .

وهكذا إذا قرأنا ان يد الله تأخذ بيد الانسان مثلا ، فهل نتوقف عند هذه الفكرة ان الله يملك يدا أم نصعد بها الى رحمة الله الواسعة ونحس بحرارة هذه اليد التى تحنو وتسامح ، او بقوتها التى ترجعنا الى سواء السبيل ؟ .

وعندما نقرأ ان الله اقرب للانسان من نفسه ، هل سنحاول ان نبحث عنه فى مسافة معينة أم سنشعر بوجوده معنا فى كل شىء ، وحتى بداخلنا وكأننا شعلة من وهجه ، فقد خلق الله كل شىء ووضع فيه قانونه ومعناه .

أو عندما نقرأ أن الله قد خلق العالم فى ستة أيام ، «الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش» السجدة ٤ ، فهل نقرأ القرآن وكأنه كتاب فى الجيولوجيا أو مثلما فعل قضاة غاليليه Gqlelie للعالم الفلكى ، الذين كانوا يقرأون التوراة فى محاكمته ؟ أو أننا سنستخرج هذه الصورة الجميلة وهى أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق وأن الخلق لا يتساوى مع الخالق وأن المخلوق ليس الا مجرد عمل من أعمال الله سبحانه وتعالى ، عمل قد وصل لدرجة مرئية محسوسة كى نتعلم كيف نوائم أصلنا السماوى فى أعمالنا الدنيوية ، أم سنحاول مثل بعض العلماء المسيحيين الذين يفسرون أن اليوم عند الخالق أطول من خمسين ألف عام متناسين أن اليوم الابدى يختلف تماما عن أى مقياس دنيوى .

وإذا قرأنا أنه يجب أن تقطع يد السارق أو السارقة «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالامن الله» المائدة ٣٨ هل يكون هذا لنا بمثابة حكم قضائى أم أننا سنتذكر أن هذه الآية مجرد انذار يؤكد الحكم على التقاليد القديمة التى كانت تعتبر أن الجريمة يجب أن تغسل فى دم قبيلة بأكملها . وهذا يعود بنا الى مبدأ هام الا هو أنه ليست هناك أية مسئولية عامة لاسرة أو لاحفاد أو لقبيلة بأكملها كما أنه ليست هناك أية خطيئة تدفع ثمنها

الاجيال المتعاقبة مثل خطيئة آدم وخروجه من الجنة .. وأن المسئولية تقع أولا وأخيرا على المجرم نفسه الذى يجب أن يدفع ثمنها بنفسه ، تختلف هذه الصورة الجليلة عما قيل عنها وعن الهمجية التى يصفون بها هذا العقاب . أما هؤلاء الذين يثورون على قسوة قطع اليد فقد قبلوا أن تقطع الرقاب حتى فى فرنسا الحديثة التى لم توقف هذا العقاب الا منذ حوالى عام تقريبا .

واذا كان من واجب المسلم أن يطبق أحكام الرسالة فى مشاكله اليومية ، فان واجب الاجتهاد وواجب التفسير هو واجبه الاول وهو لا يستطيع أن يقوم بهذا الا فى اطار الآيات ككل وليس فى اطار آية واحدة منطلقا من مايسمى « سواء السبيل » الذى عرفه القرآن فى مجموعه .

## القرآن هو كلمة الحق سبحانه وتعالى .

هكذا فنحن مسوقون الى هذا المبدأ الثانى الاساسى فى القرآن ألا هو مبدأ الاجتهاد . فالقرآن كأى كتاب آلهى ليس فقط سبيلا أو اتجاها يسوقنا الى الله عز وجل وإنما يعبر عن تدخل وقتى وتاريخى لله وتدخل للابدية فى الزمن وللمطلق فى النبى فقد أرسل الله لكل جماعة رسالة باللغة التى تفهمها تلك الجماعة .

وقد كان الحال كذلك بالنسبة لنبى الاسلام . فقد أوصل لنا رسالة تتحدث الى البشرية جمعاء فى كل زمان ولكن كل آية وكل سورة نزلت فى مكة أو فى المدينة هى الاجابة الآلهية لسؤال معين ، ولسنا هنا نقلل من قيمة هذه الرسالة عندما نقول إنها خاصة بزمن معين وبحضارة معينة وبشعب معين .

وكذلك فان لغة القرآن ليست فقط لغة رمزية ولكنها أيضا لغة تاريخية لايمكننا أن نستخلص من أى جزء منفرد من القرآن دستورا سياسيا أو أقتصاديا مثلما فعل برسوية Borsuer فى كتابه « السياسة كما تراها الكتابات السماوية » أو كما كتب الماوردى فى « الاركان السلطانية » فهذا لايؤدى الا الى تبرير أبديولوجى للهيكل الموجود مثل الملكية المطلقة Monarali aboolie وبالحق الالهى de droit diviu كما كان الحال بالنسبة للملك لويس الرابع عشر فى وقت بوسويهBosuet أو بالنسبة للحكم العباسى فى عهد الماوردى .

ولكن الاسلوب الامثل الذى يفى بحق قدسية القرآن هو أن نتناول الآيات بطريقة كبار قضاة الإسلام فى عهد انتشار الإسلام عندما حاولوا الاجتهاد فى تفسير الكلمات السماوية كى يواجهوا المواقف الجديدة التى طرأت على الاسلام بعد أن أصبح له هذا الشأن العظيم .

## الإسلام هو الامل

فللاسلام اليوم امكانيات واحتمالات للانتشار فى العالم أكثر حتى من الوقت الذى وصل فيه الى ذروته .

فالمنهج الامريكى والمنهج السوفيتى قد أثبتا فشلهما . أما الإسلام فهو يمنح للإنسان الامل فى عالم يسوده الآن الخوف حتى على استمراره وعلى بقائه وهذا من اليسير عليه لو تخلى عن فكرة غلق باب الاجتهاد واستطاع أن يجد المبادىء التى تعيد اليه الحياة والعظمة كما يستطيع أن يستخلص المبادىء الخالدة التى تمكنه من أن يواجه مشاكل العصر .

فالقرآن الكريم ، عندما يأتينا بحلول تاريخية معينة ، فانه يأتينا فى نفس الوقت بقيم خالدة عظيمة ، وهذا الطابع التاريخى للرسالة السماوية واضح فى القرآن نفسه حيث نقرأ أن الله منحكم المساكن المصنوعة من جلد الحيوان حتى تكون خفيفة يوم تنتقلون من مكان الى آخر ويوم تحطون خيامكم « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها اثاثا ومتاعا الى حين » النحل ٨٠ . فمن الواضح هنا أن الحديث موجه لمجموعة من البدو الرحل فى وقت معين من التاريخ كى يعلموا بحقيقة ثابتة وأبدية وهى سماحة ووجود الله عز وجل .

وهذا يخالف تلك النظرة المتعجرفة الفرعونية للإنسان حيث أنه من القوة بحيث يمكنه أن يعتمد على نفسه فقط .

وهذا يذكرنا بعظمة الله سبحانه وتعالى بدلا من أن نفكر فى الاكتفاء بأنفسنا ويذكر أيضا هؤلاء الذين بنوا الاهرامات على سبيل المثال بكل هذه القيم الخالدة .

أما اذا طالبنا القرآن بأن نتوضأ قبل القيام بالصلاة فهو يخبرنا أيضا بأننا نستطيع أن نستخدم التراب للتيمم نمسح به الوجه واليدين « ياأيها الذين آمنو إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه » المائدة ٦ ... فمن الواضح أن الكلام موجه هنا الى سكان الصحارى وليس الى سكان الاسكيمو مثلا .. ولقد أعطينا لكل منهم سبيلا وحكمة .

هكذا فقد أعطانا الله رسالة خالدة عندما تحدث عن تجربة معينة . فالاغتسال هنا رمزى يؤكد ضرورة الطهارة التى تصاحب الصلاة ، أى الوقفة فى الحياة اليومية التى تعيد لحياتنا مركزها الحقيقى وتجردنا من كل ما يحيط بنا من هموم وقتية حتى تأخذ كل أعمالنا معناها الحقيقى وترتبط بالتالى بعظمة الله سبحانه وتعالى .

فبإيقاع الصلوات التى ترتبط بظهور وخسوف نجم من النجوم يرتبط الإنسان بالكون كما يعيد سجود المصلى فى الصلاه الحركات الاساسيه للكون نفسه ، فالإنسان يصلى واقفا كالجبل والاشجار ويسجد ثم يقوم كالنجوم التى تنام وتظهر ثانية وهو يسجد كعود النخيل أو كالمخلوقات التى تنحنى صوب الأرض منبع الحياة .

فالصلاة لاتربط الانسان فقط بالطبيعة والكون ولكنها تربطه بالبشرية جمعاء فالقبله فى المساجد تصور حلقات من دوائر متقابلة ترمز الى الوحدة التامة . كذلك ساعات الصلاة تتغير مع خطوط الطول فى حركة ضخمة للتعبد لاتفتا تتردد على الارض بأكملها وهكذا يكون تعبير الوحدة فى الإسلام برموز طبيعية تتفق مع كل النبوءات منذ ابراهيم عليه السلام حتى سيدنا موسى ومن سيدنا عيسى الى محمد صلى الله عليه وسلم .

أليس القرآن بحق مرتبطا بتاريخ معين عندما يشير الى أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم بالاسم ، الا وهما عمه ابو لهب وزوجته ؟ ألا يمكننا ان نستخلص من هذه السورة القصه التى تدور فى القبيلة وكذلك المعنى الخاص

بتكدس الاموال دون أى هدف انسأنى والتنمية العمياء التى هى الآن سمة كل الدول .

تلك هى الآفاق التى تفتح لنا نحن مسلمو الغرب كى نكسب المستقبل . فالاسلام الخالد يمكنه اليوم أن يغزو العالم كله برسالته لانه يعطينا الاجابه على تلك الاسئلة التى تجول بخاطرنا فى هذا العصر .

— السؤال الذى يراودنا بعد هذه التنمية العمياء للعلوم والفنون .
— والسؤال الذى يراودنا بعد هذه الزياده العمياء للشعوب والدول .

## الاسلام هو ان تتذكر الخالق العظيم

١-فبدلا من أن نحول عالم الاشياء والمخلوقات الى أحداث وقوانين ، فالإسلام يذكرنا بضرورة البحث عن هدف ومعنى أولا . فهذا الإنسان الغربى الذى يكرر السؤال عن الكيف ويتناسى السؤال عن السبب سنحاول أن نذكره أن التكنيك للتكنيك — أى الـ Tecluacratue والعالم أى مبدأ الـ Saieatinue لا يؤدى الا الى العدم وان الحياه من أجل لاشىء فهى الانتحار البطىء للكوكب كله وأن هذا كله يأتى من نسيان تبعية الاساليب للاغراض ونسيان الابعاد الروحية للحياة .

هكذا يمكنا بالاسلام أن نبين ضرورة المعنى والسمو وتذكر الخالق العظيم .

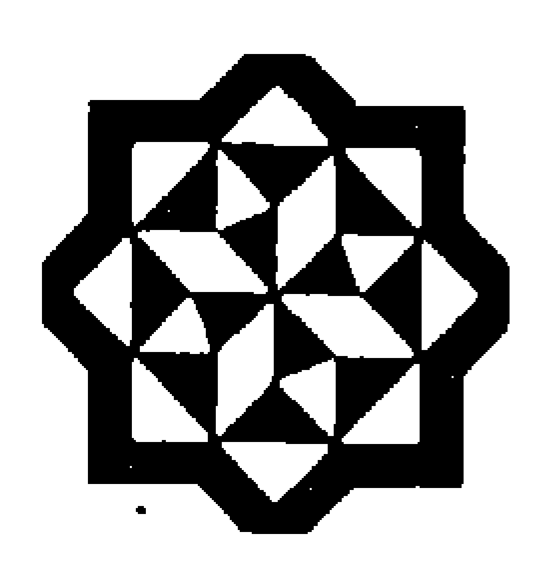
٢ اما بالنسبة للفردية وللقومية التى تجعل من الفرد أو من الدولة مركزا ومعيارا لكل شىء فهى سوف تؤدى الى كارثة كبيره تواجه فيها المصالح والمآرب حب السلطة وأحلام النمو المفرط وهذا لن يؤدى بالتالى الا الى العنف والفناء .

ولهذا يمكن للاسلام أن يمنح الحل بهذه الصورة الجديدة ، الا وهى صورة الجماعة التى لا تقوم الا على الاحترام العام للقيم الروحية .

فالإسلام هو تتويج لتراث ابراهيم عليه السلام الذى نادى الإنسان سواء عن طريق اليهودية أو المسيحية بالبحث عن هدفه الاسمى وهو يستطيع الآن أن يعطينا من جديد الامل فى هذه المجتمعات الغربية التى تفككها النظام التكونوقراطى للحضارة الذى أدى لا الى سعادة الإنسان وانما إلى هدمه وفنائه .

وهكذا يمكن للاسلام أن يحمى الانسان من هذا النظام الخاطىء فى التنميه العمياء التى تؤدى الى نهايته الحتمية .

ولن يمكننا نحن مسلمى الغرب ، أن نؤدى هذا الدور الا اذا لم نغفل أبدا اننا كى نحترم أجدادنا يجب ان نوصل الشعلة لا أن نبقى على الرماد .



غـلاف : منـى مختـار
تصوير : أحمد المغربى
ماكيت : منـى ناصـف


الهيئة العامة للاستعلامات
STATE INFORMATION SERVICE






مطابع الأهرام التجارية